# منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (2304) السنة التاسعة - الاربعاء (16) تشرين الثاني 2011


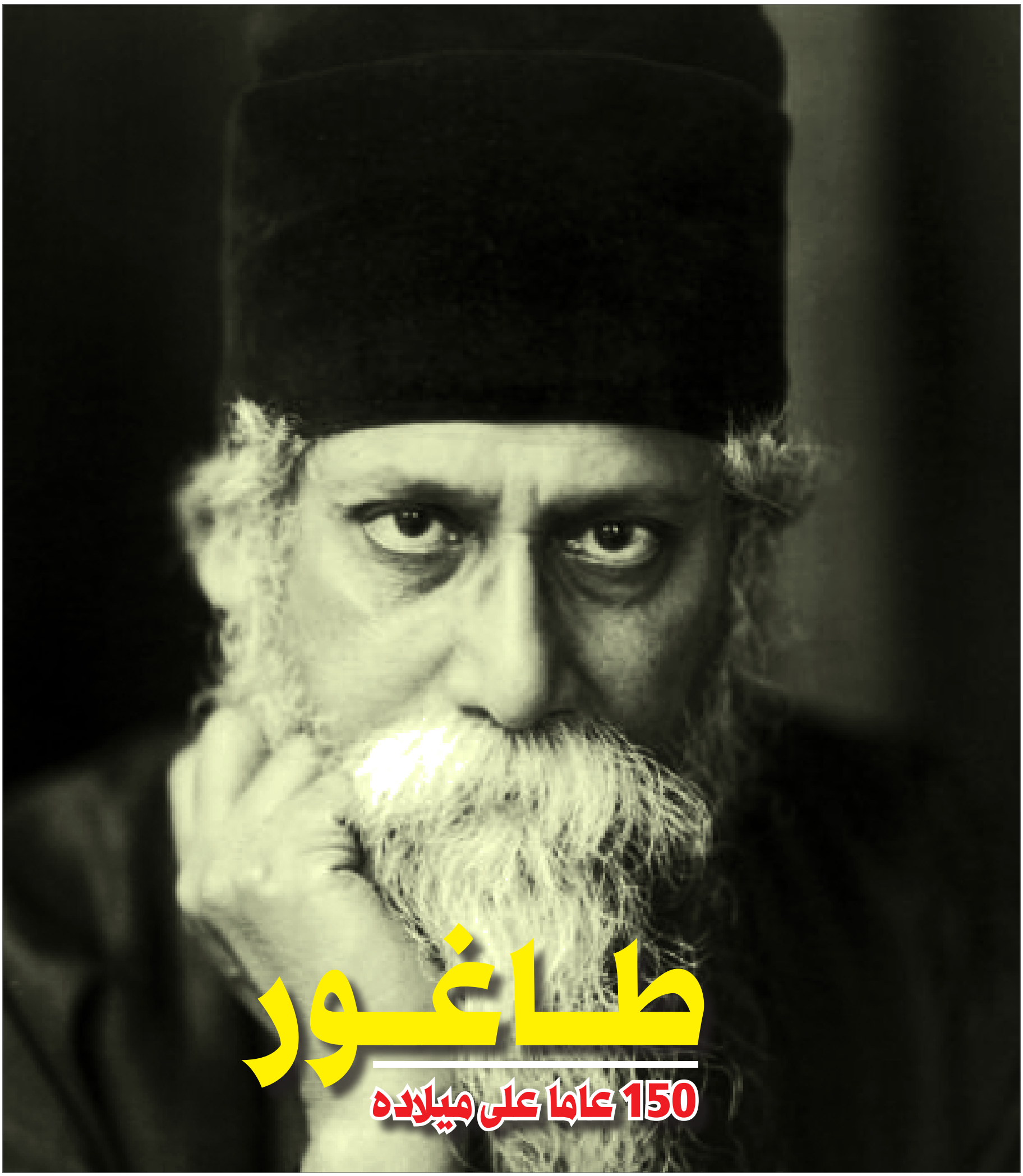

# طاغور

## 150 عاما على ميلاده

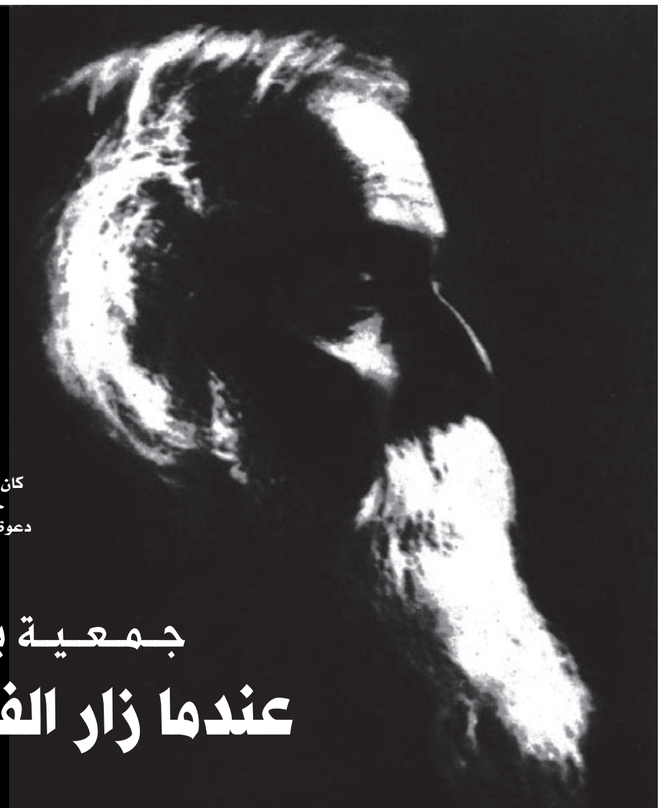

سالم الالوسي

كان المستر "مايترا" المستشار الثقافي في سفارة الهند ببغداد يسعى سعيا حثيثا لتأسيس جمعية ثقافية تحمل اسم الشاعر الفيلسوف الهندي "طاغور"، وقد اقام لهذا الغرض دعوة شاي بداره الواقعة في منطقة العطيفية بجانب الكرخ، دعا اليها عددا من الاساتذة الشعراء والادباء والفنانين ورجال الصحافة، القى خلالها محاضرة عن "رابندرانات طاغور" ومكانته العالمية في الادب والشعر والمسرح وكان ذلك ربيع عام ١٩٦٠.

## جمعية باسم طاغور في بغداد

# عندما زار الفيلسوف الهندي العراق!

### جلسة ادبية

وفي خريف العام نفسه دعانا الشاعر الكبير الاستاذ حافظ جميل الى وليمة عشاء بداره تكريما للسيد "مايترا" حضرها عدد من الشخصيات الادبية والسياسية والصحفية منهم الاساتذة: محمد سليم الرضي – سفير العراق في الهند سابقا، والدكتور مصطفى جواد، حقي الشبلي، جعفر الخليلي، فؤاد عباس، مشكور الاسدي، احمد حامد الصراف، صبيح الغافقي، طلعت شوكة، وعدد آخر من الادباء والفنانين وكاتب هذه الكلمة.

تحولت الوليمة الى جلسة ادبية شعية من الطراز الاول دار فيها الحديث عن طاغور وشعره ومسرحياته ودعواته الاصلاحية التي اكسبته شهرة عالمية فوصف بـ "شاعر الحب والسلام" وقد تحدث كل من الاساتذين احمد حامد الصراف وجعفر الخليلي عن اشعار طاغور المترجمة الى الفارسية وغيرها من اللغات، ثم تكلم الاستاذ محمد سليم الرضي والاستاذ فؤاد عباس عن طاغور ومساعيه ودعوته لنشر مفاهيم السلام والتعاون بين الامم ونبذ العنف والحروب التي عانت منها البشرية وما تركته من كوارث وفواجع، وقد وصف الاستاذ الصراف زيارة طاغور الى العراق عام ١٩٣١، كما اقترح ان تتولى الجمعية المقترح تأسيسها الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاده "١٨٦١" والذكرى العشرينية لوفاته في ١٩٤١/٨/٧ توثيقا لروابط الصداقة بين الشعبين العراقي والهندي، وقد رحب الحاضرون بالفكرة وفي مقدمتهم السيد "مايترا" الذي قال انه سيعمل جادا ليكون هذا الاحتفال على المستوى الرسمي بالتعاون والتنسيق بين الجهات الثقافية في العراق والهند كخطوة اولى تتبعها خطوات لدعم التعاون بين البلدين الصديقين.

انتقل الحديث بعدها الى زيارة الفيلسوف "طاغور" الى العراق في الربع الاول من عام ١٩٣١ وقد تولى الاستاذ احمد حامد الصراف وصف مظاهر الاستقبال والحفاوة التي قوبل بها شاعر الهند الكبير وقد جاءت هذه الزيارة تلبية لدعوة من الملك فيصل الاول، اشرفت عليها وزارة المعارف على عهد وزيرها السيد عبد الحسين الجلبي في وزارة نوري السعيد الاولى.. وقد نهضت الوزارة بالمهمة فشكلت هيئة استقبال مؤلفة من: الشاعر جميل صدقي الزهاوي، الدكتور محمد فاضل الجمالي، العلامة محمد بهجة الاثري، المترجم الاستاذ عبد المسيح وزير وقد توجهت الهيئة الى خانقين لاستقبال الضيف القادم من ايران، وقد صحب الهيئة المصور ارشاك.

### تكريم طاغور في بغداد

اقيمت لطاغور عدة حفلات وولائم احتفاءً به وتقديرا لمنزلته، تبارى فيها الشعراء والادباء ورجال الصحافة كان في مقدمتهم الزهاوي والاستاذ الاثري، كان الاستاذ الصراف كثير الاشادة بالزهاوي وبقصيدته، هنا انبرى الشاعر الاستاذ حافظ جميل معقباً بقوله انه يفضل قصيدة الاثري على قصيدة الزهاوي لكونها ارقى سبكا وابلغ نظما وادق تعبيرا، يضاف الى ذلك مضامينها الوطنية والقومية، أؤكد على ذلك – والقول لحافظ – وعلى مسؤوليتي كشاعر. وقد اصطف الاديب الشاعر جعفر الخليلي الى جانب حافظ جميل في الاشادة بالمستوى الرفيع لقصيدة الاثري، لانها شعر بمعنى الكلمة، بينما جاءت قصيدة الزهاوي خيالية ضعيفة لا ترقى الى المستوى المأمول من شاعر كبير مثله.

ولما احتدم الجدل والنقاش بين الحاضرين نهض الشاعر حافظ الى مكتبته وعرض ديوان الزهاوي وصحيفة من الصحف البغدادية التي نشرت قصيدة الاستاذ الاثري وطلب الى الاستاذ الصراف ان يقرأ قصيدة الزهاوي، والى الاستاذ فؤاد عباس قراءة قصيدة الاثري، وبعد ذلك طلب الى الحاضرين التحكيم والمفاضلة بينهما، وقد اجمع الحاضرون على حيازة الاستاذ الاثري قصب السبق وانه المجلي في ميدان الشعر.

وتوثيقا لهذه الجلسة الادبية الشعية، وحفاظا على الامانة التاريخية ننشر القصيدتين ليطلع عليهما القراء:

قصيدة الزهاوي

كنت "طاغور" ماثلا في خيالي
حيثما التفت اجدك حيالي
عن يميني اذا نظرت يميني
وشمالي اذا نظرت شمالي
مثل نجم يهوي ابتساما جميلا
في دجى الليل من مكان عالٍ
وانا باسط اليك يدي في
ضرع اليائس الكثير الملال
قلت لي ان اردت ان نتناجى
فادن مني وفي الدنو تعال
قلت لا استطيع ذاك لاني
من شكوكي اسوح في الاوحال
قلت حاولت منها بنفسك افلا
تا فحاولته فبان كلالي
وضعت في جيدي الطبيعة اغلا
لا فما حيلتي مع الاغلال
ما بوسعي الدنو الا اذا حر
وتني او خفقد الغالي
ثم لما تصرم الليل ينأى
وبدا الصبح ابيض الاذيال
لفظ الناس من كراها تحيي
موكب الشمس طالعا في جلال
لم يكن قد بان يومئذ لي
غير طيف من الحقيقة خال
وارى اليوم بالنواظر ماقد
كنت قبلا رأيته في الخيال

### عتاب الاثري !

كانت الاوضاع السياسية في العراق مضطربة وغير مستقرة وعواطف الشعب ثائرة مائجة، والصحافة الوطنية تهاجم سياسة نوري السعيد وخضعه لمشيئة الانكليز وتنفيذه رغباتهم بسبب عقده معاهدة ١٩٣٠ الجائرة، وقد عمدت الدوائر الاستعمارية البريطانية بخبث ودناءة الى ان تجعل تاريخ ابرام هذه المعاهدة التي رفضها الشعب العراقي بكل اباء وكبرياء "يوم ٣٠ حزيران" وهو تاريخ ثورة الشعب العراقي ضد الاحتلال الانكليزي للعراق.

نقول في هذا الجو المشحون بالعواطف الثائرة ضد الاحتلال والمعاهدة، والغليان الشعبي على اشده كرها للانكليز ومعارضة لوزارة نوري السعيد، تتزامن زيارة الفيلسوف الهندي "طاغور" داعية الحب والسلام، ويومها فسرتها الاوساط الوطنية بانها –اي الزيارة – قد خطط لها كانما جيء بطاغور لنشر دعابة مغلفة تهدف الى السكينة والهدوء ورفض العنف، وبكلمة اخرى التخفيف من معارضة الشعب العراقي للسياسة الانكليزية والدعوة الى المسالمة، وعلى قدر موجبات اللياقة مع ضيف الملك فيصل الاول، وجه اليه العلامة الاثري قصيدة يحتفي بها بشاعر الهند، ضيف العراق ضمنها عبارات، يشم من ثناياها بعض العتاب مؤكدا على ان المسالمة تختلف من حال الى حال، فقد تكون في بعض الاحوال من موقع القوة والاقتدار، وتقتضيها الحكمة والتدبير، وقد تكون من عوامل العجز والقصور، فتكون حينئذ خضوعا وانقيادا للسياسة الغاشمة، فلنستمع ونقرأ قصيدة العلامة الاثري التي قال فيها:

بسمت لبغداد وبغداد ثاكله
فلم تر الا ان تهش مجاملة
وبغداد ثغر صاغه الله باسما
لكل اديب حط فيها رواحله
محلة اجواد على بعد عهدها
عن البدر تقري الضيف بالروح عاجلة
هواها العلى فالس نوازي نبضها
تجد وثبات الدم فيهن جافلة
وغن لها اغنية المجد تمتلك
هواها وذكرها الذوابل عاسله
هنالك ان تفعل تر اليوم امه
اعز من الاقدار جاشت مقاتله
وما هي الا ان ترى الامر سائحا
وما هي الا ان تثور مصاوله
لها عزمة فيها اناة ومن يكن
كذلك يصبر او يعز قبائله
اذا ما اقشعر الدهر فارقب فعالها
واصغ الى صوت القواضب قاصلة
الا.. لايرعك القول مني اقوله
وان بك ضدا للذي جئت حامله
فانا على حال اذا ما دريته
عذرت ورمت العفو ان كنت جاهله
وقد يدع الرأي امرؤ متصلب
وينصر رأيا عاش دهراً مناضله
وعشنا اسبوعا اغر في تاريخ الادب على نطاق عالمي، وقبله بزمان كنا قد سمعنا وقرأنا الكثير عن حياة طاغور الحافلة، عرفنا قبل هذه الزيارة ان رابندرانات طاغور ولد في مدينة كلكوتا عام (١٨٦١) لمدد طوال فنشأ الابن طاغور في عزلة، لا انيس له سوى الطبيعة، ما لبثت ان اتضحت فاذا برابندرانات طاغور يطل على وطنه وعلى العالم اجمع شاعرا عبقريا وفيلسوفا حكيما وموسيقارا موهوبا ورساما مبدعا ومربيا فذا حنكته الايام. نظم الشعر وكتب المسرحيات ووضع جمهرة امثال تهدف الى التوعية والدعوة الى تفهم الحياة تفهما صحيحا والى سلوك افضل السبل الى خير الانسان وسعادة المجتمع عن طريق تنقية الفكر والوجدان من شوائب المادة، والتحلي بالتسامح واللاعنف.

وعندما حصل طاغور عام ١٩١٣ على جائزة نوبل الادبية وكان قدرها قرابة ثمانية الاف جنيه عن مجموعة شعره المسماة (جيتانجلي) اي (قرابين الاغاني) طارت شهرته شرقا وغربا واصبح شاعرا عالميا تترجم اشعاره ومؤلفاته في العديد من اقطار العالم.

اشبه بالغناء. وطلب عدد من الحاضرين ان يسمعوا ترجمة عربية لهذه الرائعة الطاغورية – فكيف يتسنى ذلك هنا اقترح بعضهم علي ان اعد ترجمة عربية شعرية لهذه القصيدة على ان القيها في احتفال قادم من الاحتفالات تكريم الضيف. فلم يسعني الا ان اوافق متهيبا. وسر طاغور لهذه المبادرة واعطاني نسخة انكليزية من القصيدة وكان عنوانها (ايها الطائر). وهو يريد بهذا الطائر وطنه الهند ويصف في معاناته معاناة لهند ذاتها في سبيل التحرر والانعتاق.

وهكذا، وفي الاحتفال التالي الذي القى فيه طاغور روائع اخرى من اشعاره قرات انا على الحاضرين ترجمتي الشعرية لقصيدة (دهشمايا) او (ايها الطائر).





# Rabindranath Tagore

## اول عبقري من الشرق حاز على جائزة نوبل

انور شاؤول

اديب عراقي راحل

ما زلت اتذكره كيف طلع علينا بقامته المديدة وجسمه الممتلئ يلفه جلباب قمحي اللون، فضفاض، تسترسل على صدره لحية بيضاء عريضة وهو ماد الينا يديه، يتطلع بعينين شهلاوين واسعتين يشع منهما بريق ساحر.. كيف انسى تلك الصورة الملائكية لشاعر الهند الكبير وفيلسوفها الحكيم رابندرانات طاغور؟ رحمة الله على روحه الطاهرة!

كان ذلك في اواخر شهر نيسان من عام ١٩٣٢ عندما سافرنا الى بلدة خانقين ونحن لجنة برئاسة الطيب الذكر جميل صدقي الزهاوي الفت خصيصا لاستقبال الضيف والسهر على راحته والاحتفال بتكريمه.

وتعانق اول من تعانق الشاعران العملاقان ورحب احدهما بالاخر، قال الزهاوي: "اهلا بشاعر الهند الملهم وحكيمها العظيم". فاجابه طاغور: "واهلا بشاعر العرب الغريد وفيلسوفهم الحكيم". وبعد استراحة وتناول طعام الفطور استقل الموكب القطار الى العاصمة، بغداد، حيث بدأت المهرجانات الادبية، تحتفي بطاغور وتكرمه وتتيح الفرصة لجمهور الحاضرين للاستماع الى قصائده الرائعات يلقيها باللغة البنغالية ويشفعها بترجمة انكليزية لها بقلمه..

وفي احد الاحتفالات التي اقيمت له في نطاق زيارته للعراق اتحف طاغور مستمعيه بقصيدته (دهشمايا – او صراع النفس في محنتها) باللغتين الانكليزية والبنغالية. وكان يلقيها بصوت عذب موسوق فاذا بنا نسمع حديثا ملائكيا هو

ايها الطائر
ان يكن ليلك وافي ماشيا
بانئاد فوق هامات البطاع
مسكنا من قد تغنى شاديا
برنين مطرب او بنواح
ان يكن كل رفيق نائيا
عنك في وكنته حيث استراح
ودجى الليل اخاف الحاديا
والسما اخفى محياها الوشاح
فتشجع ايها الطائر يا
طائري المحبوب، لا تطو الجناح لا

×××

ليس ما تسمعه الاذن صدى
رهبة الاوراق في الغاب الكثيف
انه البحر تعالى مزبدا
مثل افعى صوتها الداوي مخيف!
ليس هذا ياسمينا ما غدا
راقصا بل انه الموج الزحوف
اه اين الساحر المهدي يدا؟
اين اضحى عشك الزاهي اللطيف
فتشجع ايها الطائر يا
طائري المحبوب، لا تطو الجناح

×××

وحشة الليل احاطت بالطريق
لا ضياء، لا غناء، لا نبات
والضحى يرقد ريان الشروق
خلف هاتيك الهضاب الباسمات
والدرازي حبست منها الخفوق
تحسب الساعات تسترجي الغداة
وخيوط البدر، والبدر رقيق
سبحت فوق الدياجي الحالكات
فتشجع ايها الطائر يا
طائري المحبوب، لا تطوي الجناح

×××

ايها السابح في هذا الفضاء
لا رجاء لك فيه لا فزع
انصت السمع مليا لا نداء
لا ولا همس ضعيف يستمع
ليس من ماوى ايمن او مباء
تجد الصفو به، لا مضطجع
ما لك الان سوى تيه السماء
وسوى خفق جناح مبتدع
فتشجع ايها الطائر
ياطائري المحبوب لا تطو الجناح

**من مذكرات انور شاؤول**
**عام ١٩٨٦**

عبد الجبار السامرائي

في العشرين من أيار / مايو عام ١٩٣٢ زار بغداد الشاعر الهندي الفيلسوف الكبير (رابندرانات طاغور) (١٨٦١/١٩٤١) بدعوة من المرحوم فيصل الاول، ملك العراق. لقد استقبل طاغور في بغداد اروع استقبال من قبل السياسيين والشعراء والادباء، وكان في مقدمتهم السيد محمد الصدر، وجعفر باشا العسكري ومحمد بهجة الاثري، ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي، ونوري ثابت صاحب جريدة (حبزبوز) وغيرهم من الوجوه المعروفة انذاك. بتاريخ ٢ من حزيران ١٩٣٢، نشرت احدى الصحف العراقية هذا العنوان : (رابندرانات طاغور - من خانقين الى بغداد) نقلت الاخت سهيلة داود سلمان جانبا منها في جريدة (الزمان) الطبعة البغدادية، العدد ٢١٧٨ في ٣ من آب ٢٠٠٥، ص ١٣ جاء فيها:

# زيارة الشاعر الهندي طاغور بغداد

(الشاعر الاكبر على الحدود، الساعة العاشرة والنصف صباحا، والشمس وضاحة الجبين، لاغيم يسترها ولا غبار عندما كنا في دائرة جوازات السفر على الحدود العراقية، كنا ننتظر بفارغ الصبر سيارة الضيف المحبوب.

لم يطل الانتظار حتى وافت السيارة تتبعها اخرى، تقدمت نحونا ببطء واذ صارت على مقربة منا، تطلعنا فاذا هي تحمل من اوفدنا لاستقباله ومدّ رأسه قليلا من نافذة السيارة، تبدو على محياه امارات البش الممزوج بعناء السفر، وابتسم ابتسامة خفيفة وهو يصافح شاعرنا الكبير جميل صدقي الزهاوي،رئيس الوفد: يرحب العراق بشاعر الشرق العظيم، ويحييه ويحيي فيه العبقرية والنبوغ.

- كانت تلك الكلمات القليلة الجامعة التي خاطب بها الزهاوي ضيف العراق، فكان جواب طاغور كلمات موجزة ايضا، قالها الشاعر الكبير بصوت خفيض:

(انني لسعيد بهذه الحفاوة، وفخور بمجيء شاعر العرب لتحيتي تحية شاعر لشاعر).

وتقدم الى طاغور اعضاء الوفد واحدا فواحداً، يصافحونه مرحبين به وب (كنته) وسكرتيره، ثم رجوه ان يتفضل بالنزول من السيارة لاخذ رسم تذكاري على الحدود مع اعضاء الوفد، فلبى الرجاء عن طيب خاطر.

ومما قاله طاغور: (انني ارجو ان يكون العراق حاضرة الامن والسلام والمحبة والوحدة) فاجابه الوفد: (ان العراق لفخور بوحدته، معتز بهذه الوحدة المقدسة بين ابنائه على اختلاف طبقاتهم واديانهم).

ترى لو عاد الشاعر الكبير طاغور الى الحياة وزار العراق حاليا، فماذا سيقول له العراقيون؟ وماذا سيقول هو عن حال العراق والعراقيين بعد الاحتلال؟!

وتنقل لنا الاخت سهيلة عن اخر مساء قضاه طاغور في بغداد على ضفاف دجلة فتقول، ان احتفالات عديدة اقيمت لضيف العراق الكريم الدكتور رابندرانات طاغور طوال الايام العشرة التي قضاها في بغداد، كان في كلها موضع حفاوة واجلال واعـزاز.. وكـان الاحـتفال الاخـير الـذي اقيم للشاعر الكبير مساء الاحد الماضي - ولم يذكر التاريخ بالتحديد - كان اكثر الاحتفالات جمالا - واشدها اثرا في النفوس. لقد كان احتفال الوداع.

ففي قصر الشابندر المطل على شواطئ الكاورية في دجلة، اجتمع لفيف من الادباء والصحفيين، يحيطون بالضيف العزيز، كل شيء كان سحريا، شعريا، الطبيعة هادئة، النسيم عليل، الازهار يفوح شذاها، النهر يجري رقراقا، والمغنية العراقية الشهيرة الست جليلة تطرب في هذا الاجتماع الشاعر العالمي الذي رغب في استماع موسيقانا وغنائنا باعذب الاغاني العراقية الشجية، مصحوبة بانغام جوقها المبدع.

وفي امسية الوداع، انبرى الصحفي والاديب العراقي ابراهيم حلمي العمر، فارتجل كلمة وداعية كلها رقة وبلاغة، وقد اجابه المحتفى به كلمة ارق وابلغ ثم دعا صاحب مجلة (الحاصد) (وهو انور شاؤول) ليلقي كلمة باسم الصحفيين، فارتجل كلمة مناسبة جاء فيها:

(.. ازهار شاعرية طاغور كانت تنعش القريب والبعيد، ونهر حكمه الفياض كان ومـازال يسقي عالما باسره. ان طاغور كالشمس كان ومـازال يبعث بالاشعة الى مرتفعات الجبال واعماق الاودية اشرقا كان ام غربا، جنوبا ام شمالا).

شكر طاغور الصحافة العراقية والعراقيين كافة، ثم القى نظرة على دجلة، وتنشق هواء العراق ملء رئتيه، وتطلع الى عقد المصابيح الكهربائية الخافقة في تلك الساعة التذكارية الجميلة - حيث كانت الكهرباء لا تنقطع في بغداد - وقال الشاعر الكبير معروف الرصافي معلقا: (ان هذا الخفوق وهذه المناظر الطبيعية الخلابة لافصح منا لسانا، واقدر على التعبير عما في الصدر في مثل هذه المواقف).

لقد ودع طاغور بغداد الوداع الاخير، بغداد ان حقق امنيته في زيارتها والتمتع بجمالها وبجمال دجلتها واللقاء مع نخبة من ادبائها وباهلها الطيبيين الذين ما عرفوا للطائفية والمذهبية معنى، ولا عرفوا للتفجيرات والمفخات معنى، ولم ينس طاغور ان يخلد ذكراه في بغداد بنظم اغنية بعنوان (يا بلبل غن الجيرانا) غنتها له المطربة زكية جورج في عام ١٩٣٢.

يا بلبل غن الجيرانا
غن وتغنّ الحانا
فبنتهم سرقت قلبي
وليبق لديها جذلانا
ولحقل ابيها من حقلي
تتطاير اسراب النحل
فعشقت النحلة من حبي
ووجدت فريستها عقلي
ازهار حديقتها تشري
في السوق وتملأها بشرا
لو كنت غنيا ذا كسب
لشربت الباعة والزهرا

- هكذا كانت كلمات الاغاني، وهكذا كانت الاصوات الاصيلة تصدح بالالحان والكلمات الرقيقة المعبرة، اما اليوم، فقد بدأنا نسمع اغنية من قبيل : (يمه كرصتني عكربه)!

او (التلدغة الحية يخاف من جرة الحبل) الى آخر الهذيان!.

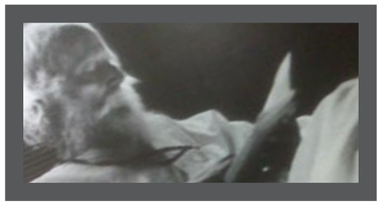

**تقدم الى طاغور اعضاء الوفد واحدا فواحداً، يصافحونه مرحبين به وب (كنته) وسكرتيره، ثم رجوه ان يتفضل بالنزول من السيارة لاخذ رسم تذكاري على الحدود مع اعضاء الوفد، فلبى الرجاء عن طيب خاطر.**





# طـــاغـــور...
# ضيـف بـغـداد الـسـامـي!

رشيد الخيون

احتفل قبل ايام بالذكرى الخمسين بعد المائة لميلاد عظيم الهند رابندرانات طاغور "ت ١٩٤١) ولحاجة شديدة بما آلت اليه احوال بغداد من سوء في الثقافة على المستوى الرسمي ان يمنع مهرجان موسيقى بابل مثلا، وجدت من الضرورة. ولو عبر مقال، استعادة ذكرى زيارته بغداد التاسعة والسبعين بغداد التي يحل الان ضيوف دائمون على شاشتها الرسمية وهم يقدمون الشعوذة على طبق الدين، ودعونا من عناوين مغالطة من مثل مؤسسة الاعلام المستقلة. استمع لبرنامج شاعر سوري الدائم ديمومة الشيخ الاخواني في القناة التي تأسست من اجل امثاله الاخوان يظهر متمنطقا مع حركات استعراضية وحاشيا عقول العراقيين بمادة بائسة غارسة الجهل على انه ثقافة وعلم آل البيت مستخدما تلك الاسماء بضاعة اتذكر به مشايخ الدعاية المذهبية والدينية عبر الشاشات الهابطة!.

كل امتياز هذا الرجل انه تفريق شهادات الدكتوراه. وفي كل آن يعقد مجلسا لتوزيع الدكتوراه الفخرية والاصلية من جامعته "الابداع" ويعلم الله كم من حامل لها في اروقة البرلمان والدولة! والسعر خمسة الاف دولار ما كنت اصدق لولا ان ورقة بخطه قدمها لي احد الراغبين بهذه الدكتوراه. تقول له بخط المجلد: تستحق الدكتوراه على ما كتبته وان احد النزهاء من اهل النجف، قال لي: رفضت عرضه دكتوراه بخمسة الاف دولار.

قبل تسعة وسبعين عاما كان ضيوف بغداد من مشاهير الشرق، اثنان كانا يخطوان نحو الشهرة ام كلثوم (ت ١٩٧٥) بعدها عرفت بكوكب الشرق ومحمد عبد الوهاب (ت ١٩٩١) اما الثالث فهو شاعر الهند وفيلسوفها، وليس اشهر من حيازة جائزة نوبل شرفته وتشرفت به عام ١٩١٣، وليس اشهر من وسام الفارس منحه له ملك بريطانيا العظمى ١٩١٥.

استقبلت ام كلثوم بقصائد شخصيات العراق: شعراء وادباء فقهاء من معتمري العمائم كانت العمائم من نوع آخر يستظل بها من الهاجرة. ولا يخشى منها على الدنيا والدين لا تؤمن بالسلاح النووي وليس تحتها سوى الخير: محمد جواد الشبيبي (ت ١٩٤٤)، ونجله محمد باقر الشبيبي (ت ١٩٦٠)، ومحمد بهجة الاثري (ت ١٩٩٦) وابراهيم ادهم الزهاوي (ت ١٩٦٢).

غنى محمد عبد الوهاب، امام الملك فيصل الاول لاحمد شوقي (ت ١٩٣٢) وكان ماء العراق عنوانا للقصيدة وموضوعا ومنها "يا شراعا وراء دجلة يجري.. في دموعي تجذبك العوادي. سر على الماء كالمسيح رويدا.. واجر في اليم كالشعاع الهاديء إلا انه من سوء حظ العراق ان يهوي الشراع مبكرا، ولم يدم مشرعا سوى خفقة من الزمن (١٩٢١ - ١٩٣٢) هي سنوات البداية من اللاشيء ليأت مثل الشاعر المتفقة بالشعوذة والحيلة ليضحك على العقل العراقي.

كتب الاديب والمحامي العراقي انور شاؤول (ت ١٩٨٤)، وهو احد المكلفين الى جانب جميل صدقي الزهاوي (ت ١٩٣١) باستقبال طاغور بمن يبدأ العناق.

اعدت بغداد لطاغور اسبوعا حافلا من اماسي شعرية ولقاءات ادبية، واستقبله الملك مرتين مع صاحب العمامة السوداء المهيبة محمد الصدر (ت ١٩٥٦)، ووجهاء العراق الاكابر القى طاغور قصيدته "دهشمايا" (صراع النفس في محنتها) بالانكليزية والبنغالية، اعجب الحضور بالقائه. مثلما يعجب السامعون بقصائد الجواهري (ت ١٩٩٧) بصوته وهيبته فربما ينفرك الالقاء من معلقة المعلقات، المفروض ان يتحلى الشاعر بجودة القاء، مع انه لا يسمن الشعر الهزيل.

طلب الجمهور سماع القصيدة بالعربية، فقام بهذه المهمة شاؤول وجعلها بفنه مقفاة، فيومها لم يظهر الشعر الحديث بعد ومنها: "ليس ما تسمعه الاذن صدى.. رهبة الاوراق في الغاب الكثيف" (قصة حياتي).

كثر الكلام عن اغنية لها شعبية واسعة ببغداد "يا بلبل غني الجيرانا". حيث صار موثقا على انها من كلمات طاغور وان الزهاوي مترجمها ، لحنها الملحن العراقي صالح داوود الكويتي (ت ١٩٧٩)، وغنتها زكية جورج (ت ١٩٦٦) ، ارى انها ليست من مزاج طاغور ولا الزهاوي، لكنها غنيت في حفل من حفلات الاستقبال، وما اكثر النصوص اليتيمة من اسم صاحبها وما يحز في النفس، ان صاحب الصوت الشجي حسين السعدي اعاد غناءها، في اواسط الستينيات، لكن الفترة القومية انذاك لم تسمح باعلان اسم ملحنها كونه من يهود العراق مع ان هذا الرجل وابناء قومه كانوا وراء النهضة الغنية بالعراق، وما اعجب الجمهور المصري وكبار فنانيه بالمقام العراقي إلا بفضلهم ، لكن الاغنية احتفظت باسم مؤلفها الخطأ، على اغلب الظن.

كانت الاغنية دليلا اخر، الى جانب زيارة طاغور على الذوق الرفيع الساري في روح بغداد، فكلماتها سجلتها من صوت مغنيتها الاولى: "يا بلبل غن الجيرانا.. غن وتغنّ الحانا.. فبنيتهم سرقت قلبي.. وليبقى لديها جذلانا.. ولحقل ابيها من حقلي.. تتطاير اسراب النحل.. فعشقت النحلة من حبي.. ووجدت فريستها عقلي.. ازهار حديقتها تشري.. في السوق تملؤها نشرا.. لو كنت غنيا ذا كسب لشربت الباعة والزهرا..".

إن عظمة طاغور ليست في شعره وادبه فحسب، انما كان نابذا للتعصب مبشرا بمحبة الانسانية، تخلى عن وسام الفارس البريطاني عندما تعرض شعبه الهندي الى مجزرة قتل فيها ٤٠٠ انسان كان لايدري من اي قوم هم ومن اية ديانة، فاين ضيف بغداد طاغور من ضيوف شاشتها الرسمية اليوم؟ وكأن التسع والسبعين سارت بنا الى الوراء كل سنة منها تعادل قرنا من الزمان.

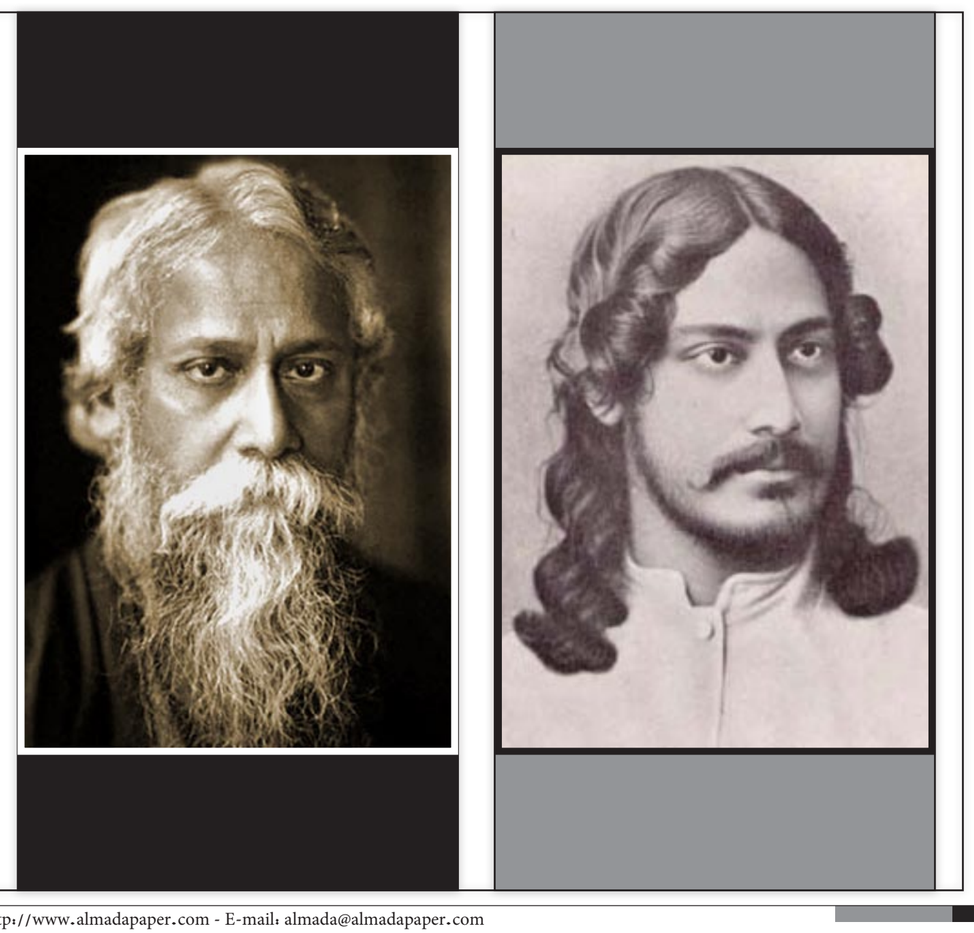

عن جريدة الاتحاد الاماراتية

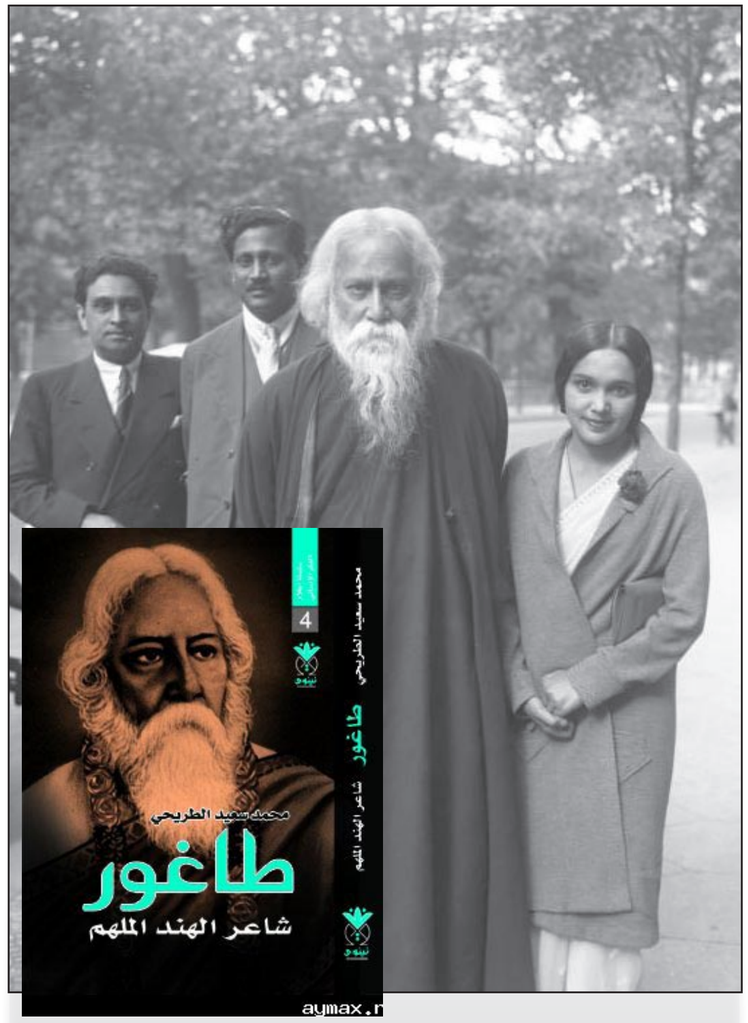


# طـاغـور .. شاعر الهند الملهم

محمد سعيد الطريحي

شاعر الهند الكبير (رابندرانات طاغور) أبصر النور في مدينة كلكتا عام ١٨٦١ في بيت ارستقراطي لأسرة تنحدر من زعماء الطائفة البراهمية، وهذا ما جعل نزعته الدينية بارزة في حياته وشعره على أكثر من صعيد، فقد أخذ عن البراهمة احترام الطبيعة وتبجيلها باعتبارها أحد المظاهر المقدسة لألهتهم، ولكنه تجاوز تلك النظرة الضيقة للمذهب الديني، وانطلق نحو آفاق إنسانية تتخطى كل الحواجز الجغرافية والعرقية والجنسية، وبذلك سبق الفيلسوف البريطاني (برتراند رسل) زمنيا في دعوته إلى عالمية الحضارة البشرية، بل الفرق بين الدعوتين، إن دعوة (برتراند رسل) قائمة على قرارات ومخططات ناتجة عن دراسة الشروط السياسية للمرحلة الراهنة، بينما دعوة طاغور قائمة على رغبة فردية، مبنية على المحبة والحق والسلام والتضحية والتسامح.

ورغم الظروف الهائنة التي تهيأت لطاغور من الناحية الاجتماعية والمادية لم يعش حياة ملؤها السعادة والحبور، فقد فجع بفقدان الأحبة منذ صغره، فقد والدته وهو في السابعة من عمره، ثم فجع بموت زوجته، ثم ابنته الكبرى، فوالده، حتى وصل الموت إلى ابنه الأصغر. وهذا ما ترك أثرا بالغا في نفس الشاعر الحساس، وأضفى مسحة من الحزن على شعره، ولكنه لم يكن حزنا سلبيا، فالفواجع التي تعرض لها جعلته أكثر صبرا وحكمة، كما لم تجعله يفقد ثقته بعدالة من في السماء.

السفر خارج الهند

كانت أول رحلة لـ (طاغور) خارج الهند وهو في السابعة عشرة إلى انجلترا عام ١٨٧٨، ثم تعددت رحلاته فطاف الكثير من الدول الأوروبية، وتنقل بين العديد من الدول الآسيوية، كما زار القارتين الأمريكية والأفريقية، ومن الدول العربية زار العراق، وكان من مستقبليه آنذاك الشاعران (جميل صدقي الزهاوي- معروف الرصافي) وفي مصر استقبله الشاعران (أحمد شوقي- حافظ إبراهيم) ومما قاله (طه حسين) في (طاغور) آنذاك: (إنما الذي يملأ نفسك في كل شيء في كيانه المادي).

ولكن الأثر الكبير في فكر طاغور تكون من خلال زياراته المتكررة لأوروبا، وقد كتب عن تلك المرحلة ثلاثة كتب هي: (خطابات سائح في أوروبا) و(يوميات حاج في أوروبا) و(رسائل من روسيا) وهي من أهم كتب أدب الرحلات في العالم.

دراسة ومدارس

لم يطق (طاغور) الدراسة ضمن مناهج مقررة قسرا منذ صغره، لذلك ترك المدرسة باكرا، فاستقدم والده المدرسين إلى بيته لتعليم ولده ذي الطباع الغريبة، ثم أرسله إلى انجلترا لدراسة القانون، ولكن نفور طاغور من صرامة التعليم لم يتبدل، فترك الجامعة أيضا، وأخذ يتعلم اللغة الانكليزية، وهذا ما مكّنه من الاطلاع على الآداب الأوروبية، والأثر الأكبر كان لأدباء الانكليزية التي أتقنها، فقد كان معجبا بـ(شيلي) وهذا ما لحظه عامة الأدباء في ديوانه الأول (أناشيد المساء) الصادر عام ١٨٨٤، فلقبوه بـ(شيلي الهند) تقديرا وإعجابا. كما شغف بـ(شكسبير) الذي قال عنه في إحدى قصائده (أتمن كنز يعتز به قلب انجلترا).

ولم يكتب (طاغور) باللغة الانكليزية حتى بلغ الخمسين من العمر، ولم يكتف بكتابة الشعر بغير لغته الأم، وهذا ما حقق له شهرة مضاعفة فقد انتشرت دواوينه وذاع صيته. لهذا لم يكن غريبا أن ينال جائزة نوبل للآداب عام ١٩١٢، وكان بذلك أول كاتب هندي- بل وآسيوي- ينال هذه الجائزة الكبيرة. ثم سرعان ما أخذت أعماله تترجم إلى سائر اللغات. فإلى الفرنسية نقل بعض أعماله الأديب الفرنسي المعروف (اندره جيد) الذي قال عنه (لا أظنني عرفت في الآداب العالمية نبرة أسمى وأجمل من نبرة طاغور. إن ما يعجبني فيه ويملؤني دموعا وابتساما، تلك الحيوية الخصبة التي يفيض بها شعره).

وفي مطلع عشرينيات القرن الماضي، بدأت تظهر الترجمات لبعض كتب (طاغور)، ولكن لم تنشر أعماله كاملة حتى الآن.

واحتفت انجلترا بـ (طاغور) للعلاقة التي تربطها ببلده آنذاك، فقد كانت الهند أحد مستعمراتها، فمنح لقب sir عام ١٩١٤، ولكنه تنازل عن هذا اللقب بعد خمس سنوات احتجاجا على أحد المجازر التي نفذها الجيش البريطاني في إقليم البنجاب، فلم يكن (طاغور) بعيدا عن السياسة، وإن لم ينخرط فيها ويكرس لها حياته.

في الأدب البنغالي

عقب عودته إلى الهند بعد رحلته الأولى بدأ (طاغور) بكتابة الشعر وكان دون العشرين من العمر، فأحدث تحولا مهما في آداب اللغة البنغالية التي يكتب فيها، فقد أدخل تجديدا في الشعر البنغالي على صعيد الوزن والقافية، فكتب قصائد تعتمد إيقاعا موسيقيا متحررا إلى حد كبير من تقاليد النظم التقليدية.

ولم تقتصر إسهاماته في إثراء الأدب الهندي على الشعر، فقد كتب في مجال: (الأغاني- المسرح- القصة القصيرة- الرواية) ومن أشهر رواياته (البيت والعالم) التي كتبها عام ١٩١٦، وأرسى بها فن الرواية الاجتماعية في الأدب البنغالي. إضافة إلى كتاباته في مجالات: النقد، واللغة، والتاريخ، ورسائله لأصدقائه التي تأخذ قيمتها الأدبية من عنايته بأسلوبه ولأهمية الأفكار المبثوثة بين سطورها. كما كتب في الفلسفة أيضا، ونفى أن يكون فيلسوفا لأنه لا يعتمد منطقا فكريا مجردا، بل ينهل من تجربته الشخصية في عالم الجمال، لهذا وصف نفسه بأنه شاعر ليس بعيدا عن الفلسفة، وليس فيلسوفا يكتب الشعر.

ومن أهم آراء (طاغور) في الفلسفة الأوروبية: إنها نشأت في المدن، بعكس الفلسفة الهندية التي نشأت في رحاب الطبيعة، لهذا تتميز الفلسفة الهندية بانسجامها مع الطبيعة، بعكس الفلسفة الأوروبية التي تريد السيطرة عليها وتسخيرها لمصلحة البشر، لهذا تطغى النزعة المادية على روح الإنسان الأوروبي فتحول البشر إلى آلات مجردة من الحس الجمالي. كما حذر من القوة المفرطة التي يلجأ إليها الأوروبيون ضد الشعوب الأخرى، وهو يرى أن الانتصار يكون للحق وليس للقوة، فالقوة لا تأخذ مشروعيتها في حال غياب العدالة.

وكانت فلسفة (طاغور) في الحياة بعيدة نسبيا عن الفلسفة الأوروبية وأكثر قربا من الفلسفات الشرقية، مثل الفلسفات الصينية واليابانية، وذلك رغم إعجابه الكبير بالآداب الأوروبية، ولكن هذا الإعجاب لم يمنعه من الانتقاد الصارم أحيانا، فقد هاجم دراسة الأدب من زاوية التحليل النفسي أو تفسيره بناء عليه، لأن هذا ينحرف بالأدب عن مساره الطبيعي، ويسقط عنه جمالياته المحببة إلى النفس.

فنان تشكيلي

ومن الجدير بالذكر أن (طاغور) كان شديد العناية بكتاباته حتى بعد نشرها، فقد كان يعدل ويبدل في قصائد حتى في شعره المطبوع، فهو يرى أن من حق الكاتب الإضافة والحذف مادام ذلك في صالح الشاعر والشعر وقارئه.

وفي عمر متأخر لجأ إلى أسلوب جديد في التعبير، فقد بدأ يرسم بعدما تجاوز السبعين، وفسر اختياره للريشة إضافة إلى القلم بقوله: إن لوحاتي هي شعري منظوما في خطوط. لينشر أسلوبا جديدا في التعليم يخالف الأساليب التي نفر منها منذ طفولته، أنشأ في كلكتا مدرسة لأطفال اسماها (شانتي نكتان) (دار السلام) ١٩٠١، وكانت الدروس تلقى في رحاب الطبيعة تحت ظلال الأشجار الوارفة، وفي تلك المدرسة النموذجية تدرس الأديان مع الموسيقى والآداب، إضافة إلى الرقص، وكان التعليم لا يغفل التعاليم الروحية إلى جانب دراسة الماديات. وهنا يلتقي (طاغور) مع (روسو) في ترك الطفل يتعلم دون الضغط عليه وقسره على الحفظ دون طاقته، ولكنه لم يقل بترك الأطفال دون معلم. وكان يرى أنه يجب تعليم الأطفال باللغة الأم فقط، دون أن يعني هذا رفض الاطلاع على الثقافات الأجنبية بعد أن يشب الطفل وتتكون شخصيته المستقلة، كما أكد على ضرورة العمل إلى جانب التأمل.

ثم توسعت تلك المدرسة حتى صارت جامعة عالمية يحاضر فيها نخبة من المدرسين من كافة أنحاء العالم، ويدرس فيها طلاب وطالبات من مختلف الجنسيات، وبذلك أصبحت مركزا دوليا للتعارف والتعاون بين الشرق والغرب مازال قائما حتى الآن.

رحيل المعلم الأكبر

غادرت روح طاغور جسده عام ١٩٤١، وقال الزعيم الهندي الكبير (غاندي) في ذلك (لم تحلق في الفضاء وإنما عادت من حيث أتت إلى عالمها الأعظم) كما لقبه أيضا بـ(كروديف) أي (المعلم الأكبر) وكان يرى فيه (منارة الهند الدائمة).

وأحرقت جثة (طاغور) وبقي تراثه الأدبي الكبير في ما يقارب ألف قصيدة باللغتين البنغالية والانجليزية، وألفي أغنية، وثلاثة آلاف لوحة، ومئات القصص القصيرة، والطويلة، والمسرحيات، والمقالات، والمحاضرات، والرسائل.

[من قصيدة الحياة لطاغور]

لا أريد أن أموت في هذا العالم الجميل

أريد أن أحيا مع البشر

في ضوء الشمس

في هذه الحديقة المزهرة

وسط القلوب الحية

دعني أجد مكانا

على هذه الأرض تفيض الحياة دوما

كم فيها من فراق ولقاء، وضحك وبكاء

دعني أبني بيتا عامرا

**طاغور شاعر الهند الملهم**
**تأليف: مجموعة من الباحثين**
**اختيار وتعريب: دائرة المعارف الهندية**
**إشراف: محمد سعيد الطريحي**
**الناشر: دار نيتوى بدمشق - أكاديمية الكوفة في هولندا ٢٠١٠**



# الهندي البسيط الذي أدهش العالم

الدكتور عبد القادر حسين

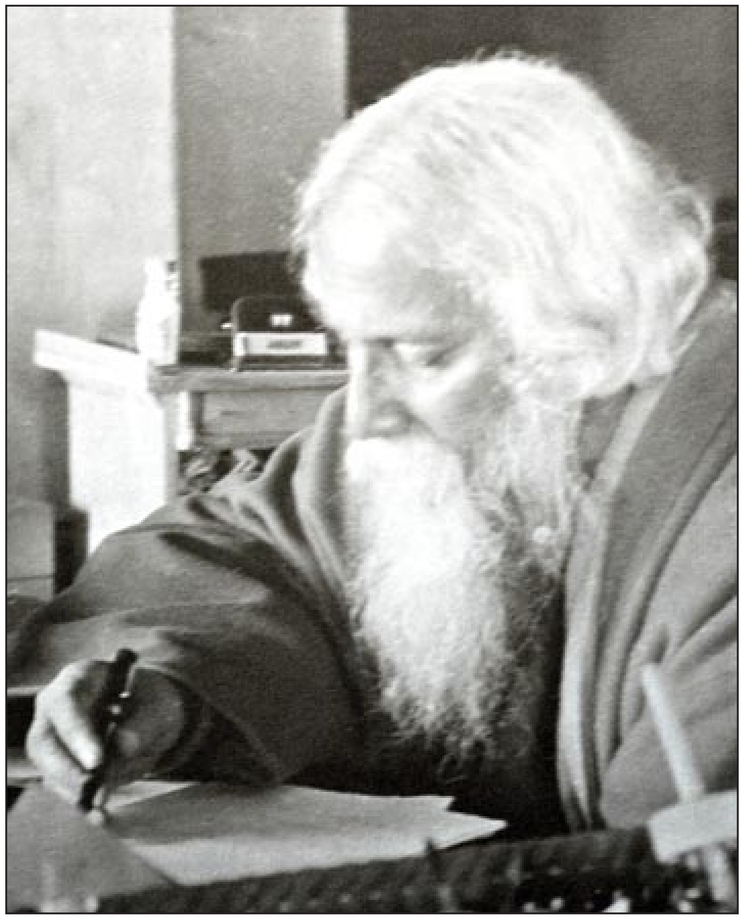

احتفلت الهند بالذكرى المئة والخمسين لميلاد رابندرانات طاغور ، كـ "أعظم كاتب في الأدب الهندي الحديث" لكونه "جمع بين فنون الشعر والرواية والفلسفة والمسرح والموسيقى" وساهم في وضع الكثير من أسس التربية الروحية التي "أدهشت الناس وأسكنتهم في طمأنينة الحياة " حتى فاقت شهرته حدود الهند.

إسمه يعني "الشمس المشرقة"، وهو من الأدباء القلائل الذين فاقت شهرتهم، شهرة جائزة نوبل. كثيرون حازوا هذه الجائزة وتسلقوا سلم المجد الأدبي بفضلها، وبعضهم طواه النسيان. لكن هذه الجائزة، التي نالها طاغور عام ١٩١٣، بقيت تفصيلاً بسيطاً في تجربته الغنية، الواسعة التي تخطت حدود بلاده الهند لتكون حاضرة بمختلف لغات العالم.

وُلد رابندرانات طاغور في مدينة كلكتا في عام ١٨٦١ لأب سليل عراقة ونبل؛ يُعد من أعلام التصوف. ذاق طاغور في طفولته المبكرة رغد العيش، وأتاحت له هذه النشأة أن ينهل من ينابيع الفن الصافية من رسم وغناء وشعر إستحوذ على اهتمام أفراد أسرته المثقفة. كان يلقى اهتماما خاصا من والده الذي اصطحبه ذات يوم في رحلة الى جبال الهمالايا. ستترك هذه الرحلة أثراً في مشاعر الطفل الذي عرف، منذ تلك اللحظة، عظمة الكون وجماله و "التأمت الصور والطيوف والظلال، متناغمة، مؤتلفة، لتتسرب ذات يوم إلى كتاباته".

بيد أن رغد العيش هذا لم يدم طويلاً، فسرعان ما رحلت والدته، فلاذ بالطبيعة وأنس إليها؛ يناجيها ويتعلم منها، بل رأى فيها خلاصه. في العام التالي انتحرت شقيقته، مما سبّبَ له صدمة هائلة، وقاده ذلك إلى محبة الإنسانية جمعاء، بدلا من التمسك بالحب الفردي والخاص.

حين شبّ الفتى أراد والده أن يدرس القانون، فأرسله إلى كلية برايتون في إنكلترا، غير أنه لم يجد في دراسة القانون ما يُرضي لهفته الجامحة إلى الفن والأدب. لكنه استفاد كثيراً من وجوده في إنجلترا بإطلاعه على روائع وليم شكسبير وجون ملتون ووليم بليك وغيرهم. وعند عودته الى بلاده أصدر ديوانه الأول "أغاني المساء" الذي قوبل بالثناء والتشجيع، وأردفه بديوان "أغاني الصباح" الذي نحا فيه نحو الرمزية.

في هذه المرحلة خبر طاغور، من جديد، مرارة الموت، إذ فقد زوجته ولحق بها ابنه وابنته وأبوه في فترات متتابعة. لكن عاصفة الموت الجديدة هذه أشعرته بالنقص وحفزته على نشدان الكمال، والهمته أن العالم "لا يفقد ما يضيع فيه". هذا الحزن الذي استبد بقلبه طبع شعره بطابع الأسى ، قصائد مترعة بمعاني الموت والحزن الشفيف دفع بالكاتب والناقد الفرنسي أندريه جيد للقول: "ليس في الشعر العالمي كله ما يدانيها عمقاً وروعة".

أحس أنه مثل زهرة انتُزعت بتلاتها واحدة تلو الأخرى، وأصبحت كالثمرة التي سيأتي الموت ليقطفها في كمال نضجها، ومع ذلك فقد جعل منه صفاؤه الواسع وضبطه لنفسه إنساناً نادر العظمة، ينشد في إحدى أغانيه: "أنا هذا البخور الذي لا يضوّع عطره ما لم يُحرق، أنا هذا القنديل الذي لا يشع ضوؤه ما لم يُشعَل".

وتعاقبت، بعد ذلك، كتابات طاغور في الفلسفة والقصة والرواية والشعر والمسرح، فضلاً عن موهبته المتأخرة في الرسم. وعلى الرغم من هيمنة هذا المنحى الأدبي الشجيّ، وتلك النبرة الغنائية على هذه "الروائع" فإن طاغور لم ينسَ قضيته الوطنية، فقد دعا في الربع الأول من خلاص شعبه، وقدم دروساً في التربية الوطنية، كما حصل إبان ثورة البنجاب عام ١٩١٩ التي قابلتها سلطات الاستعمار البريطاني بسياسة الحديد والنار، فقام طاغور بإعادة لقب Sir "سير" إلى ملك بريطانيا الذي منحه إياه من قبل "إعجاباً بشعره واعترافاً بعبقريته." وكتب شعره بطابع الأسى ، قصائد مترعة بمعاني الموت والحزن الشفيف دفع بالكاتب والناقد الفرنسي أندريه جيد للقول: "ليس في الشعر العالمي كله ما يدانيها عمقاً وروعة".

أحس أنه مثل زهرة انتُزعت بتلاتها واحدة تلو الأخرى، وأصبحت كالثمرة التي سيأتي الموت ليقطفها في كمال نضجها، ومع ذلك فقد جعل منه صفاؤه الواسع وضبطه لنفسه إنساناً نادر العظمة، ينشد في إحدى أغانيه: "أنا هذا البخور الذي لا يضوّع عطره ما لم يُحرق، أنا هذا القنديل الذي لا يشع ضوؤه ما لم يُشعَل".

وتعاقبت، بعد ذلك، كتابات طاغور في الفلسفة والقصة والرواية والشعر والمسرح، فضلاً عن موهبته المتأخرة في الرسم. وعلى الرغم من هيمنة هذا المنحى الأدبي الشجيّ، وتلك النبرة الغنائية على هذه "الروائع" فإن طاغور لم ينسَ قضيته الوطنية، فقد دعا في الربع الأول من خلاص شعبه، وقدم دروساً في التربية الوطنية، كما حصل إبان ثورة البنجاب عام ١٩١٩ التي قابلتها سلطات الاستعمار البريطاني بسياسة الحديد والنار، فقام طاغور بإعادة لقب Sir "سير" إلى ملك بريطانيا الذي منحه إياه من قبل "إعجاباً بشعره واعترافاً بعبقريته." وكتب

أدرك طاغور جوهر السلوك الاجتماعي للفلاحين وهو الاعتماد على الذات والمبادرة المحلية في المجتمع القروي وهو ما شكل أساس إعادة تنظيم المجتمع في المناطق الريفية الهندية فعمل على إدخال رؤاه الفكرية التعليمية لتطوير الريف الهندي.

لا تخلو كتابات طاغور من القيم الفكرية والفلسفية والمبادئ الأخلاقية سواء في قصصه وأشعاره أو في رواياته الواقعية التي شكلت فيها الطبيعة ركناً أساسياً بمختلف صورها وتجلياتها ، حتى ليظن المرء وهو يطالع هذه الروائع أنه يسير في حديقة يشم فيها رحيق الأزهار ويصغي الى حفيف الأشجار وخرير الماء وخفقة جناح الطير عبر توظيفه هذا الجمال في صياغة الحكم والأمثال.

وحفلت تجربة طاغور المميزة التي أثرت التراث الإنساني بأكثر من ألف قصيدة شعرية و ٢٥ مسرحية وثمانية مجلدات قصصية وثماني روايات إضافة إلى عشرات الكتب والمقالات والمحاضرات في الفلسفة والدين والتربية والسياسة والقضايا الاجتماعية.

والى جانب هذه الكتابات فقد اتجهت عبقرية طاغور إلى الرسم الذي احترفه في سن متأخرة نسبيا حيث أنتج آلاف اللوحات كما كانت له صولات إبداعية في الموسيقى فوضع أكثر من ألفي أغنية تم اختيار اثنتين منها لتصبحا النشيدين الوطنيين للهند وبنغلاديش.

كتب عنه ميخائيل نعيمة بمناسبة مرور مئة عام على ميلاده، وذلك عام ١٩٦١: "كان أنشودة عذبة في فم الحياة، فكانت الحياة أنشودة في فمه، وكان جوهرة نادرة في خزانتها، فكانت جوهرة نادرة في خزانته، لقد غنّته فغنّاها، وأغنته فأغناها".

ويرى الدكتور شكري عياد أن طاغور "... لا يفرّق في تقديره للإنسان بين جنس وجنس، ولا بين لون ولون، ولا بين دين ودين... كان الإنسان عنده هو الإنسان، في أية صورة جاء، وفي أية أرض نشأ".

ظل طاغور متمسكاً بمبادئه من نبذ للعنف وإشاعة المحبة وبساطة العيش حتى وفاته في الثامن من شهر آب عام ١٩٤١ وقد أدهش الكثيرين بأفكاره وطريقة التعبير عنها فاستحق لقب "منارة الهند" الذي وسمَه به المهاتما غاندي.

تركت وفاة أمه أثراً عميقاً في نفس طاغور ، إذ كتب معلقاً : "لقد حرمني القدر أمي، وأنا بعد فتى صغير، فأصبحت وحيداً ألوذ بنافذتي وأتأمل في الطبيعة وأرسم في مخيلتي ما يترقرق في الكون من صور شتى. لقد كانت الطبيعة رفيقي الذي وجدته إلى جواري دائماً".

وهو لا يوظف جمال الطبيعية ولا يستعين بفتنتها وتوازنها واعتدالها، إلا لكي يصوغ حكمة، أو يبث مقولة أو أمثولة تعبر عن فكرة فلسفية مكثفة. وهذا ما لاحظه الكاتب الفرنسي رومان رولان بعد لقاء مع الأديب الهندي، إذ كتب: "حين تقترب من طاغور ينتابك شعور أنك في معبد، فتتكلم بصوت خفيض. وإن أتيح لك، بعد هذا، أن تتملى قسمات وجهه الدقيقة الأبية، فإنك واجدٌ خلف موسيقى خطوطها وطمأنينتها، الأحزان التي هيمن عليها، والنظرات التي لم يداخلها الوهم، والذكاء الجريء الذي يواجه صراع الحياة في ثبات".

ولد الإنسان، برأي طاغور، محباً للآخرين، وحرا، وليس عبداً لشهواته ولا للآخرين. وإنما هو حر في اختياره هذا الموقف أو ذاك، وعلى الإنسان أن يشعر بوحدته مع الكون بكامله، فالإنسان متحد مع عناصر الكون، يتأثر بها ويؤثر فيها، ولكي يحب الإنسان الكون بما فيه، ومن فيه عليه معرفة الكون وإدراكه، لأن الإنسان بطبيعته عدو لما يجهل، فالمعرفة هي وسيلة من وسائل المحبة، محبة الإنسان لنفسه وللآخرين وللكون بكامله... لا يفرق طاغور بين إنسان وآخر، ويرى أن الأنانية تعمي بصيرتنا، وتحول دون رؤية الحقيقة، ولا معنى للحياة إلا في خدمة الآخرين لدرجة الذوبان في الآخرين، ونسيان الذات، ويركز طاغور على مفهومي المحبة والمعرفة، ويرى أنهما متكاملان.

ويرى طاغور أن من أخطاء الإنسان أنه يحاول أن يربح الجزء فيخسر الكل. وعندما يضحي الإنسان بالجزء أي بالقليل فإنه يربح الكثير، وعلى الإنسان تحمل الألم وتحويله إلى فرح. ويجب ألا يخشى المرض والموت، ولذلك فهو يرى ضرورة المحبة، بصفتها شعوراً سامياً ومفيداً، والتعبير عن هذا الشعور بالفعل أكثر من القول. يقول طاغور في إحدى أغنياته:

كان طاغورمنذ طفولته مولعاً بالقراءة، ويقول : "قرأت في طفولتي كل كتاب وقع بين يديّ من الغلاف إلى الغلاف" وساعده مناخ الأسرة على إبراز عبقريته في كافة المجالات، المسرح والشعر والرسم والسياسة والغناء... ألّف طاغور أكثر من ألف قصيدة وأكثر من ألفي أغنية، وبدأ يرسم في السبعين من عمره، فرسم خلال العشر سنوات الأخيرة من عمره أكثر من ثلاثة آلاف لوحة.

لم تتزعزع ثقته بحضارة الهند العريقة على الرغم من إطلاعه على الثقافة الغربية، ويرى أن الحضارة العالمية هي صنع كل الشعوب ولكن بعضها في فترات معينة يُسهم أكثر من غيره في صنع هذه الحضارة. وكانت تتصارع في ذاته ثلاثة اتجاهات الاتجاه الوطني والديني والأدبي. سمّاه المهاتما غاندي "المعلم الأول".

وبعد، لقد خسر طاغور كل مباهج الحياة ليظفر بالثمرة الناضجة، ووظّف سنوات عمره في سبيل رفعة الكلمة، وسمو الحرف. ومهما سعى المرء الى الإحاطة بتجربته الواسعة والغنية فلن يقدم سوى جزءاً يسيراً من ملامح موهبة تعددت وتنوعت على نحو فريد، فطاغور الشاعر والقاص والمسرحي والرسام والموسيقي، "مُذهل في مداه، ومُذهل في عوالمه" التي جعلته أحد أعظم كتاب الهند في مختلف العصور.

**عن مجلة نزوة خريف ٢٠١١**


http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

مع غاندي

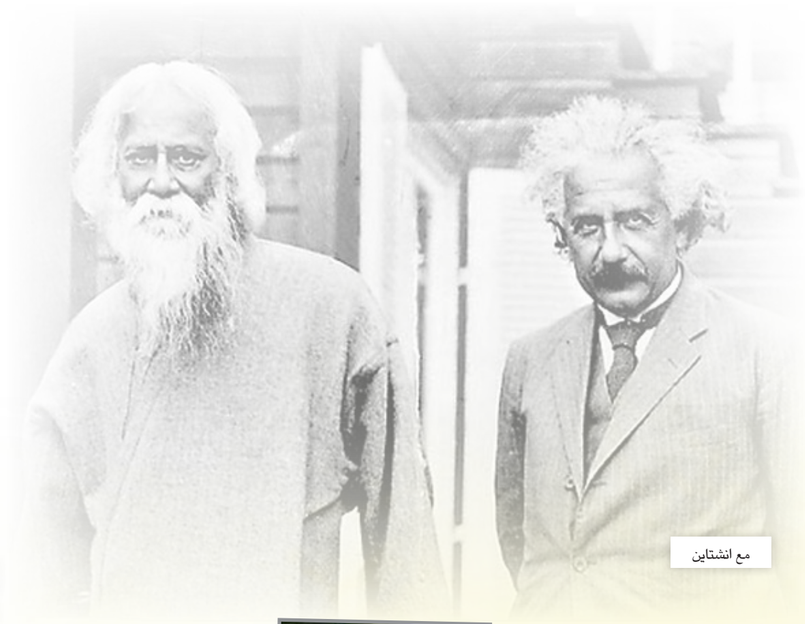

مع انشتاين

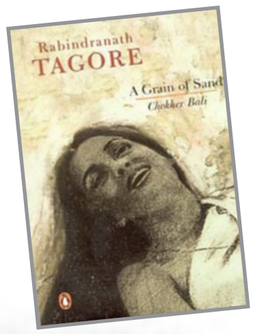


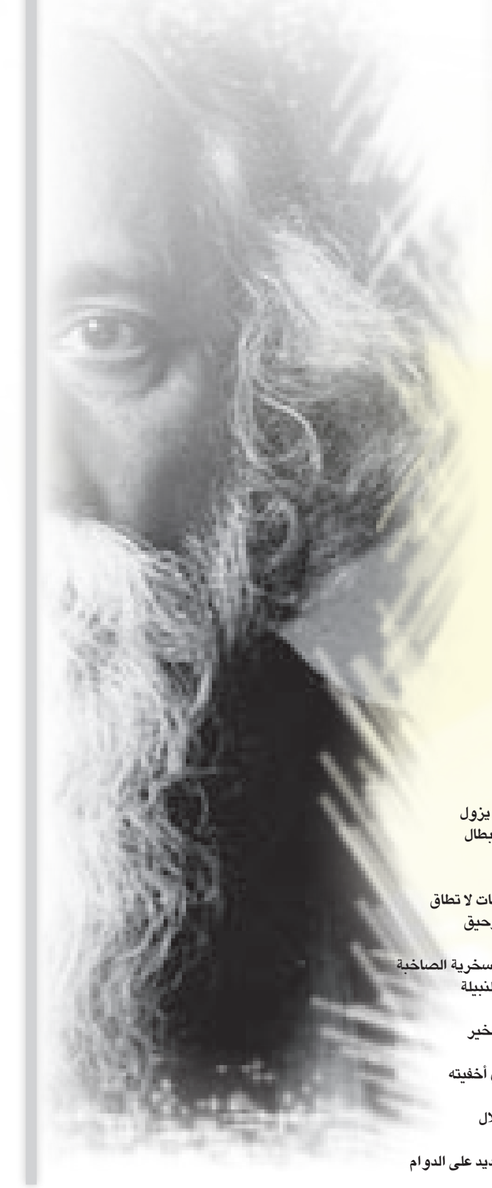

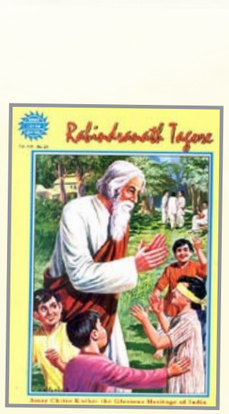


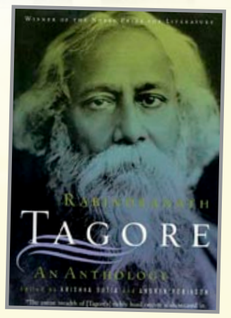

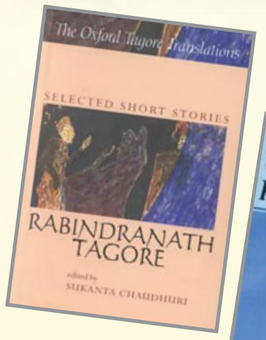


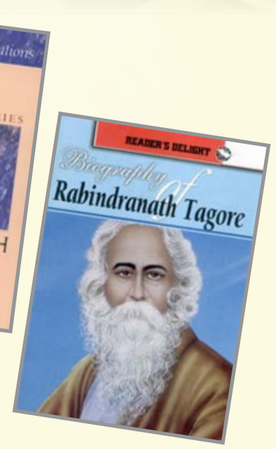


# هـكـذا غـنـى طـاغـور..

ولد شاعر الهند العظيم رابندرانات طاغور عام ١٨٦١ بمدينة كلكتا في أسرة هندوكية معروفة بالمكانة العلمية والوجاهة الاجتماعية ، ويصف طاغور عائلته البنغالية بكلماته على أنها نتاج «الاندماج بين ثلاث حضارات، الهندوكية والإسلامية والبريطانية» . فالانتماء الطائفي لأسرته لم يمنع مواطني بنغلاديش -وأغلبهم من المسلمين- من الشعور بالتوحد مع طاغور وأفكاره ، ولا تزال أشعاره وأغانيه تتردد في أنحاء الجزء الشرقي من الهند وفي كل أنحاء بنغلاديش، كما أن رواياته ومقالاته لا تزال تقرأ على نطاق واسع بالرغم من وفاته عام ١٩٤١. وقد درس طاغور في انكلترا قليلاً ، ولكنه طاف بها وبأوروبا كثيراً ، ونشأت بينه وبين شعراء أوروبا وأمريكا علاقات وثيقة، خاصة عزرا باوند ووليام بيتس. وفي عام ١٩١٤ نال طاغور جائزة نوبل للاداب عن ديوانه «جنتجالي» (قربان الأغاني) فكان أول شاعر شرقي يحظى بها. وفي العام التالي، منحته الحكومة البريطانية لقب «سير» و هو اللقب الذي أعاده لها احتجاجا على الأعمال القمعية التي قامت بها عام ١٩١٩ بإقليم البنجاب. كانت لطاغور فلسفة خاصة في التعليم وقد أسس مدرسة ثم جامعة تتلمذ فيها نوابغ الهند المعاصرون مثل عالم الاقتصاد الشهير أمارتيا سين. وهو بجمعه بين الفلسفة والقيادة الفكرية والثقافية في شبه القارة الهندية وبين موهبته في الشعر والكتابة والرسم يعد من أندر شعراء العالم في العصر الحديث.

المختارات التالية من المجموعة التي صدرت في ثلاثة أجزاء عن الدار العربية للكتاب بطرابلس عام ١٩٨٩.

دُمى
ما أسعدك أيها الطفل الصغير
وأنت جالس فوق التراب
تلعب طوال الصباح بغصن صغير
إني أضحك من لهوك هذا بدَلك
الغصن المكسور
أما أنا فمستغرق استغراقًا كاملاً
في جمع أرقامي، ساعات وساعات
ربما رمقتني مفكرًا ساخرًا قائلاً في ذهنك
يا لها من لعبة غبية يضيع فيها الصباح
أيها الطفل، لقد نسيت فن اللعب
بأكوام الوَحل والعصيّ
إني أبحث عن دُمى غالية
وأجمع أكوامًا من الذهب والفضة
وأنت تستطيع خلق العابك المفرحة
بكل ما يقع تحت يدك
أما أنا فإني أبدد وقتي وقواي
في سبيل أشياء لا أنجح أبدًا
في الحصول عليها
وأجهد نفسي وزورقي البدائي الخفيف
لعبور بحر الشهوات وأنسى
أن زورقي هو الآخر

.. مجرد لعبة
حرية
التحرر من الخوف
هو التحرر الذي أطلبه لك
يا وطني العزيز
الخوف، ذلك المارد الخيالي
الذي صاغته أحلامك المعوجة
التحرر من أثقال السنين
التي تحني رأسك
وتكسر ظهرك
وتعمي عينيك
عن نداء المستقبل الساحر
التحرر من جذوع الكسل والخمول
التي تقيد بها نفسك الى جمود الليل
مرتابًا في نجمة الليل التي تشير
الى طريق المغامرة في سبيل الحقيقة
التحرر من نقيصة الإقامة في
عالم من الدمى توجه حركاتها
خيوط بلا عقل، ومكررة بلا معني
بحكم العادة والمألوف
حيث الشخوص تقف في طاعة سلبية
منتظرة محرك الدمى

يوقظها برهة قصيرة
من غفوتها، لتقلد الحياة تقليدًا هزيلاً
أورباشي
أيتها المرأة
لست من خلق الله وحده
ولكنك أيضًا من خلق الرجال
الذين يجعلونك بقلوبهم
جميلة
فالشعراء نسجوا لك شبكة
من خيوط الأخيلة الذهبية
والرسامون أعطوا دومًا
لهيئتك خلودًا جديدًا
والبحر يقدم اليك لؤلؤة
والمناجم ذهبها
وبساتين الصيف تمنحك زهورها
لكي توشيك وتكسوك
وتجعلك على الدوام
ثمينة غالية
وشوق قلو الرجال
بسط مجده
على شبابك
فصرت نصف امرأة

ونصف حلم
متى؟ ولماذا؟
حين أحمل البك، يا طفلي الصغير
دُمى متعددة الألوان
فإني أفهم سر وجود العديد من الألوان
في الغيوم والماء
وأفهم لماذا كانت الزهور ملونة
وحين أغني لترقيصك
أفهم حقًا لماذا توجد موسيقى
في أوراق الشجر
والأمواج ترسل أناشيد
أصواتها المائية حتى تبلغ قلب الأرض المصغية
اليها
حين أقدم الحلوى الى يديك الشرهتين
أفهم لماذا يوجد العسل
في أكمام الزهر
ولماذا كانت الفواكه مليئة
بالعصير اللذيذ
وحين أقبلك من أجل أن تبتسم
يا حبيبي، أفهم يقينًا
تلك البهجة التي تنثال من السماء
في ضوء الفجر، وأي متعة

يمنحها نسيم الصيف الى كياني الجسدي
حين أقبلك من أجل أن تبتسم
جني الثمار
هذه السلسلة المرصعة بالجواهر
إنها تزينني
لتسخر مني
وحين تطوق عنقي
تؤلمني
وتخنقني حين أحاول نزعها
إنها تقبض على حلقي
وتخنق غنائي
لو كان في وسعي أن أهبها لك
يا مولاي
حينئذ فقط سأكون حرًا
فانزعها عني
وعوضا عنها شدني اليك
بإكليل من أكاليلك
لأني أشعر بالخجل
لأن أقف أمام سدتك
بهذه السلسلة المرصعة بالجواهر
التي تطوق عنقي
شكر

أولئك الذين يسلكون طريق الكبرياء
ساحقين تحت أقدامهم المخلوقات المتواضعة
مغطين خضرة الأرض الغضة
بأثارهم الدموية
يبتهجون ويرفعون الشكر اليك
يا إلهي
لأن هذا اليوم يومهم
ولكني أشكرك لأنك جعلت
نصيبي مع الفقراء المتواضعين
الذين يتعذبون
ويتحملون عبء التسلط
مواربن وجوههم
خانقين خفقات قلوبهم في الظلام
ذلك أن كل خفقة من خفقات آلامهم
قد نبضت في الهاوية الخفية من ليلك
وكل إهانة قد حواها صمتك الكبير
إن الغد لهم
أيتها الشمس
لتشرقي فوق القلوب الدامية
التي تتفتح في أزهار الصباح
وفوق فجور الكبرياء الليلي
الذي تحول الى رماد

أيتها الأرض
أيتها الأرض
لتقبلي اليوم تحيتي
آخر تحية
ترفع اليك في هيكل اليوم الذي يزول
أنت بطلة، يتحقق فرحك في الأبطال
أنت جميلة وقاسية
امرأة ورجل في وقت واحد
تزعزعين حياة الإنسان بصراعات لا تطاق
باليد اليمنى تملئين الكأس بالرحيق
وباليسرى تبددينه بددًا
وفي مكان لهوك يتردد صدى السخرية الصاخبة
إن حياة البطل، وريث الحياة النبيلة
ترهقينها وتجعلينها قاسية
إنك تجعلين من العسير بلوغ الخير
وليس في قلبك رحمة للبائس
إن الصراع من أجل البقاء الذي أخفيته
في أشجارك
يظهر انتصاره في الثمار والغلال
أيها العالم
أنت محبوب وقاس، قديم، وجديد على الدوام

# يوم استقبلت بغداد شاعر الهند

طاغور يستقبله فيصل الاول ويبدو في الصورة رئيس مجلس الاعيان محمد الصدر ووزير الدفاع جعفر العسكري ونوري السعيد

حارث طه الراوي

قبل ثلاثين سنة، تقريبا، نشر، في عالمنا العربي، مترجما الى العربية ديوان "قربان الاغاني" لشاعر الهند الاعظم "رابندرانات طاغور" فاسرعت بشراء نسختي منه وتسرعت التهمها التهاما..

كان هذا الديوان الصغير بحجمه، الكبير بافكاره واحاسيسه وصوره، رفيقي في كل رحلة، وسميري في كل ليلة، وزاد شغفي به بمرور الايام حتى اصبحت احفظ بعض اناشيده الروحية عن ظهر قلب، وتسربت موسيقاه العذبة الى بعض نغماتي في تلك الايام البعيدة...

فما سر هذا الهيام بصاحب "قربان الاغاني" و"زورق الاحلام"؟

لقد اسست انني امام نفس كبيرة استطاعت بجهادها المتواصل ان تصبح نقية، ولم تستأثر بنقائها وانما ارادت لكل نفس بشرية مثل هذا النقاء المشع، فبدأت بذلك مرحلة اخرى من الجهاد واصلته بشجاعة حتى النفس الاخير...

كانت تلك النفس الكبيرة تبحث عن عالم مثالي ترفرف عليه رايات المحبة والسلام، وكانت تدرك جيدا ان مثل هذا العالم السعيد لا يمكن الوصول اليه الا بعد تطهير النفوس البشرية من ادران الشر فالانسان الخير عماد الدولة الخيرة ومن ثم عماد الانسانية الخيرة. وكان يهتف من اعماق قلبه الكبير مخاطبا ربّه:

"يا مهيمنا على جميع الامم وان اختلفت الوانها، وحد بين قلوبنا والهمنا تبادل المحبة" ولكن كيف تتوحد قلوب البشر وكيف يتم تبادل المحبة بينهم في عالم يدنسه الاستعمار المجرم والاستغلال المجحف وما يصاحبهما من عنف اعمى، كفعل او رد فعل لهاتين الافتين الفتاكتين؟!.

انها المهمة الصعبة التي واجهها طاغور بشجاعة ، فكان يدعو الى الاصلاح الروحي في سبيل اصلاح اجتماعي اشد رسوخا وامضى ثباتا.. فلتتهذب العادات ولتستغل نواحي الخير والفضيلة في الانسان وليعرف الانسان نفسه ليشعر بانسانيته الكاملة...

كان يستقي افكاره النيرة من الفلسفة الهندية ذات البعض الحضاري العريق ويستند قوته الروحية من روح الهند العظيم... الروح التي عبر عنها بقوله:

"ان لكل قطر حدودا معنوية باطنية كما له حدود مادية ظاهرة، وفي الحدود المعنوية يحكم الروح وتهيمن، وليس للقوة المادية ان تقهر او تبطش او تستولي على جزء ضئيل ما من هذه المملكة المعنوية الروحية".

هذا الرأي اعلنه يوم وقف الى جانب غاندي ليقول للانكليز انكم لن تستطيعوا ان تحكموا روح الهند باساليب القهر والاستعمار.

وكان وقوفه الى جانب الزعيم العظيم المهاتما غاندي منذ سنة ١٩٣٢ ذا أثر ايجابي على مستقبل الهند التي اصابت منه خيرا كثيرا، واننا لنذكر بشيء كثير من الحماس والاجلال القصيدة الملتهبة التي كتبها طاغور الى غاندي قبيل غروبه حيث قال:

".. اما نحن اعوان المهاراج غاندي
فهدف واحد يجمعنا
لا نملأ اكياسنا من اسلاب الفقراء
ولا تجثوا امام غني،
ان هجموا مهددين
فصوّبوا اللكمات ،
او رفعوا العصي،
بسمنا قائلين:
ان شررا يتطاير من عيونكم
قد يوقظ الطفل مذعورا في مهده
ولكن من يخيف ذاك الذي لايخاف؟
مامن حيلة دبلوماسية
تشوّه كلماتنا البسيطة، القويمة،
كلمات تسير بضحاياكم حتى عتبة
السجون.
امام شبكات السجن تحتشد الضحايا،
وفجاة تتكسر قيودهم الدهرية.
وتقع في الغبار،
وتمحي كل وصمات الاهانات،
وعلى الجباه النقية
تتلالأ بركات غاندي".

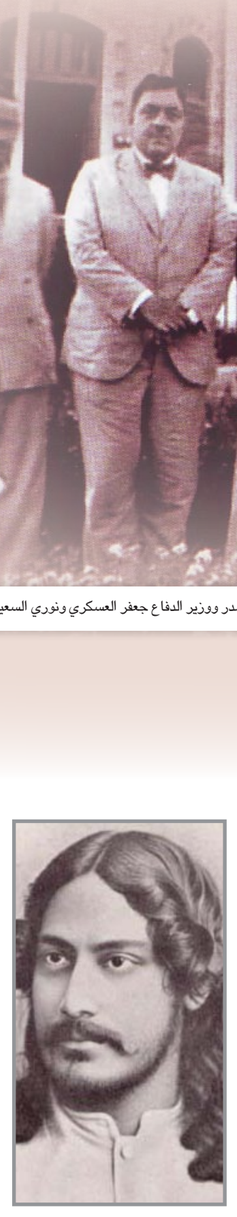

لم يكن طاغور مفكرا نظريا بعيدا عن العمل الايجابي ولهذا انشا مدرسة ثم جامعة "شانتي نكتان" ليبث فيها تعاليمه الخيرة بصورة عملية مبتدئا. كمسلفه المفكر والمربي الشهير "جان جاك روسو"، من الطفل – الصفحة البيضاء لتي ينبغي ان تبقى في مأمن من التلوث –. ولئن كان "روسو" يقدس الطبيعة ويفرس في نفوس الاطفال حب مفاتنها فان طاغور كان شديد الشغف بمدرسة الغابة، لأنه كان يعتقد ان الطبيعة خير معوان للمعلم في عمله... ولم يكن طاغور مفكرا متشائما لأنه كان يؤمن بالفلسفة الهندية القديمة المتفائلة التي شرحتها تعاليم يوبانيشاد القائلة:

"ان الكائنات جميعا انما خلقها ابتهاج الله وسروره الذي لا يحد ولا يفنى".

وعليه فان فكرة خلق الكائنات في هذا العالم انما هي ايثار لها ومسرة من الله بوجودها فلا يفهم الانسان – والحالة هذه – حقائق الاشياء الا عن طريق الخير والتفاؤل والمحبة...

وكان طاغور اول مفكر شرقي نقل للغرب فضائل الشرق وجّر الغرب الآلي الاستعماري – بصراحة تامة – من مغبة الطمع والاستئثار والابتعاد عن روحانية الشرق وفضائله والتمادي في هدر حقوق الانسان والشعوب..

وبعد فلن اطيل تقييمي لابعاد هذه الشخصية الهندية العظيمة التي تجلت فيها عظمة الهند بأجلى مظاهرها، فربما يعرف البعض اكثر بكثير مما اعرف عن مزايا هذا المعلم العظيم الذي تخطت افكاره الساطعة وتعاليمه النيرة حدود شبه القارة الهندية المترامية الاطراف الى العالم الاوسع مما رفع راس الشرق واظهر حقوقه واماط اللثام عن قيمته الحقيقية..

×××

كان طاغور برغم تقشفه وانطوائه على نفسه على اتصال وثيق بالعالم، واكبر دليل على هذا الاتصال هو الرحلات المتعددة التي قام بها وزار بها اقطارا كثيرة في عالمنا الواسع.. فقد زار طاغور انكلترا وفرنسا سنة ١٩١٢ ثم زار اوروبا سنة ١٩٢١ وطاف بالمانيا ثم زار اليابان واميركا والاتحاد السوفييتي والصين وجنوب افريقيا وكندا وآخر زيارة له لاوروبا كانت سنة ١٩٢٦ حيث زار ايطالية الفاشية، وخلال هذه الرحلة زار تركية الحديثة ومصر.

اما زيارته للعراق – في العهد الملكي – فكانت سنة ١٩٣٢ تلبية لدعوة تلقاها من ملك العراق، يومئذ ، فيصل الاول وهي موضوع مقالنا هذا.

في الثاني والعشرين من أيار سنة ١٩٣٢ وصل طاغور الى مدينة "خانقين" العراقية الواقعة بالقرب من الحدود العراقية الايرانية قادما من ايران وكان وصوله في الساعة التاسعة صباحا يصحبه السيد جلال الدين كيهان قنصل ايران العام في بومبي والبرفيسور جاترجي احد اساتذة كلية طاغور في الهند والسيد جكراواردي السكرتير الاول للدكتور طاغور، وكانت ترافق طاغور السيدة كنته (زوجة ابنه). فاستقبلته لجنة الاستقبال الرسمية العراقية برئاسة الشاعر العراقي الكبير جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ – ١٩٣٦) الذي كان اول المتقدمين للترحيب بشاعر الهند الاعظم وحياه باسم العراق بكلمات رقيقة منها:

"يرحب العراق بشاعر الشرق العظيم ويحييه ويحيي فيه العبقرية والنبوغ".

فرد عليه شاعر الهند قائلا:

"انني لسعيد بمجيء شاعر العرب لتحيتي ، وهذه التحية هي تحية شاعر لشاعر".

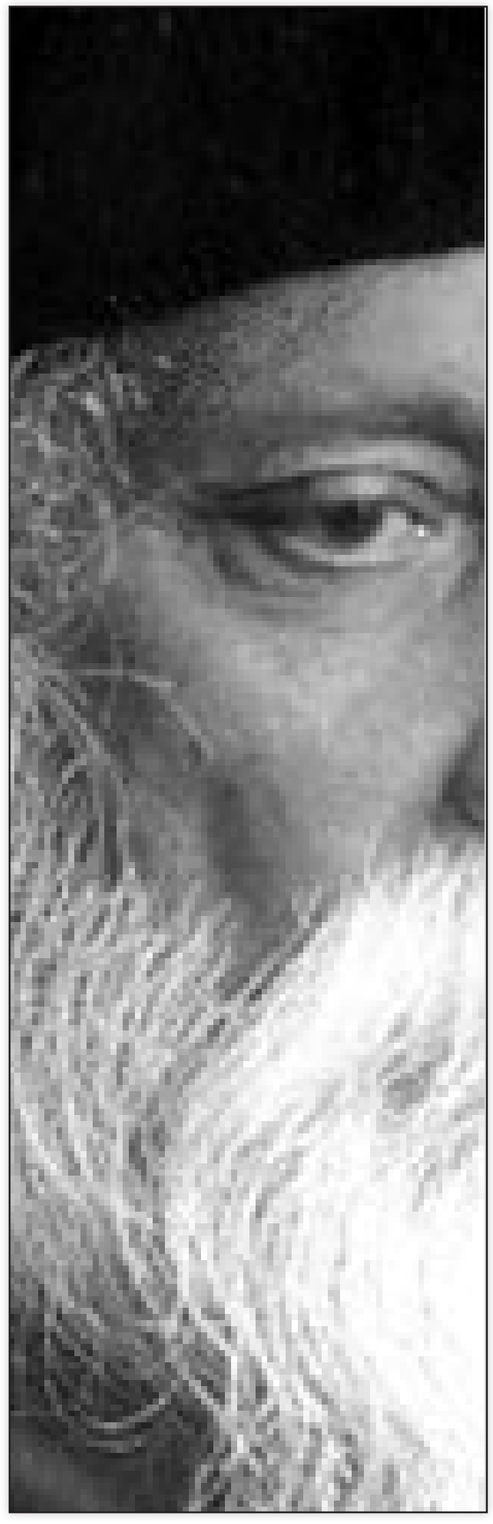

ثم جلس الشاعر وكنته لالتقاط صورة لهما فأبى طاغور الا ان يصور هو والشاعر الزهاوي جنبا الى جنب، ثم ركب الضيف الكبير ومن معه السيارة وتبعتها سيارة اعضاء اللجنة الى محطة خانقين حيث اقيم احتفال فخم حضره كبار موظفي الدولة ورجال المعارف وكشافة خانقين، وبعد انتهاء الاستقبال قصد اعضاء اللجنة بصحبة الضيف الكبير الى القصر الذي اعد لاستراحته وهناك اقيمت له حفلة شاء انيقة حضرها الموظفون وبعض رجال البلد. وفي الساعة العاشرة استقل ضيف العراق القطار ومعه اعضاء لجنة استقباله ، قاصدا بغداد، ولما بلغ القطار بعقوبة استقبل استقبالا رسميا وشعبيا يليق بمقامه.

وتصف جريدة "العراق" الصادرة في ٢٢ ايار ١٩٣٢ توديع اهالي بعقوبة لموكب الضيف الكريم بقولها:

".. وقد غادر القطار محطة بعقوبة بين هتاف المستقبلين وتصفيقهم". ويصف مندوب الجريدة المذكورة فحوى ما دار بين طاغور واعضاء اللجنة في غرفته بالقطار من احاديث بقوله:

"اما في القطار فقد كان الدكتور طاغور محوطا باحترام اعضاء اللجنة وعنايتهم الخاصة وقد دار بينه وبين اعضاء اللجنة احاديث طليّة عن نهضة الشرق وتطلعه الى الحياة الجديدة. وكان الدكتور طاغور يكثر من الاسئلة الى اعضاء اللجنة عن منتجات العراق الفكرية والصناعية والزراعية بصورة خاصة وعن نهضة البلاد العربية جمعاء بصورة عامة".

وفي الساعة السادسة والنصف وصل القطار بغداد، كانت الجماهير محتشدة في المحطة يتقدمها كبار رجال الفكر والادب وعدد من فضليات السيدات والاوانس وجماعة كبيرة من افراد الجالية الهندية للاحتفاء بقدوم شاعر الهند الاعظم. وارتفع التصفيق وعلا الهتاف بحياة شاعر الهند الذي بقي واقفا في مركبة القطار والى جنبه شاعرنا الزهاوي ، فصعد اليه الاستاذ ابراهيم حلمي العمر مرحبا بسلامة الوصول. ثم تقدم اليه الحضور واحدا واحدا فحيوه. وقدمت اليه طفلة من الروضة باقة زهور والقت احدى طالبات المدرسة المركزية الخطبة التالية باللغة الانكليزية:

ضيفنا الاعز والافخم:

بقلوب ملأى بالحبور والسعادة نرحب بكم باسم اخواتي تلميذات العراق:

انها لفرصة سعيدة اتاحت للصغير وللكبير من العراقيين ان يحظى بمقابلة الرجل الذي كان موفقا وقادرا على لمس وهز عواطف المحبة والجمال في قلوب الناس على اختلاف اجناسهم ونحلهم ولذلك فنحن فرحون، وفرحون جدا.

لقد سمعنا وقرأنا عنك المحبة للاطفال واننا سعيدات لنكون من اولئك الذين شرفتهم وتفضلت عليهم، وباسهمم نتقدم اليك وباسم اطفال هذا القطر لتتقبل منا هذه الزهور التي تمثل عواطف احترامنا وسرورنا ورغباتنا لان تكون في زيارة مباركة وسفر سعيد".

ثم تقدم اليه احد افراد الجالية الهندية وطوق عنقه بطوق من الزهور بديع. وبعد ذلك نزل الشاعر الاعظم من مركبة القطار بين التصفيق والهتاف وركب سيارة اعدت له وركبت معه كنته فسارت السيارة الى فندق "تايكريس" تتبعها سيارات عديدة. وقد توافد على الفندق ظهراء العاصمة العراقية وادباؤنا للتحيب بهذه الشخصية الفذة.

وقد ابدت الصحافة العراقية اهتماما كبيرا بزيارة طاغور الى بغداد. وعلى سبيل المثال فان جريدة "الاخاء الوطني" نشرت في العدد ١٧٩ الصادر في ٢٣ ايار ١٩٣٢ صورة طاغور في اعلى الصفحة الاولى وكتبت تحتها "ضيف العراق العظيم الشاعر الهندي الاكبر رابندرانات طاغور" وعلى الجهة اليسرى من الصفحة الاولى نشرت ترجمة له تحت عنوان: "رابندرانات طاغور شاعر الهند العظيم وفيلسوفها الكبير". وفي الصفحة الثالثة من العدد نفسه نشر مقال للاديب العراقي مهدي مصطفى القزاز تحت عنوان "رسوال الثقافة رابندرانات طاغور شاعر الحكمة والجمال" جاء في ختامه:

".. واليوم ترحب دار السلام (يعني بغداد) من اقصاها الى ادناها برسول الثقافة وشاعر الحق والجمال والحكمة وشيخ فلاسفة الشرق وفخر الهند ذات القدم العريق في المعرفة والعلوم والفلسفة. وينشأ من هذا الترحيب العظيم صلة جديدة توثقها المعرفة والادب بعدما وثقتها تشابه الحالات السياسية وما يعاني كلا البلدين من جور المستعمر وارهاقه.

وهذه الصلة هي التي نرجو ان تكون فاتحة اخاء ومودة بين الشعبين تجنى منه امم الشرق الخير العظيم والنفع المشترك".

×××

في مساء الاحد الموافق ٢٢ أيار ١٩٣٢ اقامت لجنة الاحتفال بطاغور حفلة كبرى له في حديقة امانة العاصمة بباب المعظم حضرها رئيس الوزراء وبعض الوزراء وكبار الشخصيات الفكرية والادبية وبعض وجوه الجالية الهندية في بغداد. وكانت موسيقى الجيش العراقي تواصل عزفها بهذه المناسبة السعيدة. ولما حلت الساعة السادسة قدم الشاعر الكبير فاخذ بيده سكرتير لجنة الاحتفال الى المحل المعدله. وبعد جلوسه تقاطر عليه المدعوون يتقدمهم رئيس الوزراء الذي اقتعد كرسيا جنب الشاعر العظيم. وجلس المدعوون حول الموائد المنتشرة في ارجاء الحديقة. وبعد ان اديرت اكواب الشاي على الحاضرين قام احد اعضاء لجنة الاحتفال وقدم الاستاذ ابراهيم حلمي العمر الذي افتتح الاحتفال بكلمة نفيسة ترجمها على الاثر الاستاذ عبد المسيح وزير الى الانكليزية ومما قاله فيها:

"سيدي الشاعر الاعظم، سيداتي وسادتي نجتمع في هذا المكان لتكريم شاعر عظيم، شاعر انساني وعالمي، هو الفيلسوف الفذ، وحامل علم الانسانية، ورواية العدل، وممثل الروح السامي التي بدأت تتمخض به المدنيات الحديثة، هو من نراه بيننا الان في هيبته ووقاره، ونقرأ في اسارير طلعته النبوغ والعبقرية والذكاء والالمعية، تلك المواهب التي قلما يجود الزمان بامثالها، هو الشاعر طاغور وهو هذا الفيلسوف الجالس بيننا تحفّه المحبة والاكبار والاعجاب. هو هذا الشيخ الجليل الذي لم تقعده الايام والسنون عن درس نفسيات الشعوب واستقراء مدنياتها والمقابلة بين حاضرها وغابرها، فاتحف ديوان البشرية باخلد الشعر وامتع الانتاج العقلي والذي يزور العراق للدرس والبحث وتصفح الصورة الحقيقية لنهضته المجيدة، واسماع شعب عريق في الامجاد والحضارات، شعبنا العراقي، انشودة من اناشيده الخالدة التي سترتلها الاجيال والعصور اعجابا واغتباطا.

اننا نحن عصبة الادب واخوان القلم والفكر في هذه البلاد فخورون جدا بزيارة شيخ فلاسفة العصر وامير البيان والشعر العالمي طاغور بلادنا. وتعد هذه الزيارة مقدمة اتصال وثيق بين ادبينا العربي والعالمي ووسيلة حسنة لتركيز دعائم نهضتنا الادبية وتسييرها في مجرى النهضات الراقية في الامم الراقية بحيث تكون موفية بحاجات الامة وممثلة لنزعتها ومعبرة عن شعورها الحي واحساساسها العميق مع مرافقة التطورات التي تولدها العلاقات النامية بين شعوب العالم على اختلافها، واذا كان

◄

# रबीन्द्रनाथ टागोर

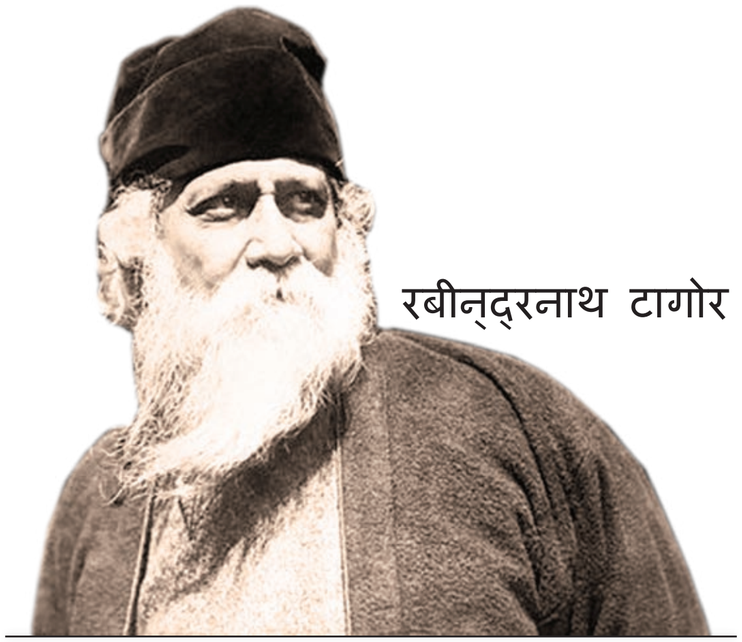

لادبنا القومي وجهة خاصة بنا وطابع يختلف عنه في آداب الامم الاخرى الا انه في الوقت نفسه يجتمع بالادب الانساني في سمو الهدف ونبل الغرض، فنحن نكبر من هذه الجهة بنوع خاص في الشاعر الاعظم نزعته الانسانية الصادقة، ونجل في ادبه الثمين تلك الروح العالية في الوقت الذي نجد في نزعة ادبنا القومي ما يحقق حاجات بلادنا ويمثل نفسيتها ويترجم عن رغائبها ويعبر باخلاص عن عميق شعورنا ورقيق احساسنا. وهذه الحاجات هي ركن من اركان السلم ودعامة من دعامات العدل، ينشده الشاعر طاغور عن طريق الانسانية..." الخ..

وبعد ان انتهى الخطيب، صدحت الموسيقى، ثم تقدم أحد افراد اسرة التعليم في العراق والقى خطابا باللغة الانكليزية اشاد فيه بالجانب التربوي عند شاعر الهند، ومما قاله بهذا الصدد:

".. انك معروف ياسيدي، لدى الكثيرين منا بشعرك وفلسفتك، ولكن القليل منا يعرف انك كبير، وانك في جامعتك، وفي مدارس احياء القرى التي تديرها قد توصلت الى اسمى فلسفة تربوية حاضرة، فقد جمعت افضل ما توصل اليه الغرب مع روحيتك السامية وحكمتك البليغة، وما احوج مدارسنا نحن اليوم الى الاهتمام بالروحية الشرقية السامية بجانب اهتمامها بالعلوم الحديثة".

ثم تقدم الشاعر العراقي الكبير معروف الرصافي (١٨٧٥ – ١٩٤٥) فألقى قصيدة بهذه المناسبة نالت استحسان الحاضرين، وكان عنوان القصيدة "الحقيقة المطلقة" اقتطف منها الابيات التالية:

ما للحقيقة من بداية
كلا وليس لها نهاية
هي عند ارباب العقو
ل أقل من حد وغاية
خفيت، ولكن كم وكم
ظهرت لها في الكون آية
كم راح مرفوعا لها
فوق الربى علم ورايه

الى ان يخاطب طاغور قائلا:

فأليك يا طاغور جئت
عن الحقيقة والحكاية
انت الذي قال الحقيـ
ـقة بالصراحة والكناية
ما أخطأت سنن الالى
اذ هديتك يد العناية

ثم تقدّم الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي فألقى قصيدة طويلة بهذه المناسبة نالت اعجاب الحاضرين منها:

أيها الشاعر العظيم سلام
من محب لأي شعرك تال
وسلام عليك في كل يوم
وسلام عليك في كل حال
معدن انت للقصائد غرّا
مثلما البحر معدن للآلي
انما هذا الشعر حين تغنيه
على قربة بعيدة المنال
انني لا اخشى عليه زوالا
انه للخلود لا للزوال
انت ان رمنا للنوابغ عدّا
واحد من اولئك الابطال

وقد قوبلت هذه القصيدة بالتصفيق الحاد واستعيدت بعض ابياتها. وبعد فترة من الصمت نهض الدكتور طاغور والقى كلمة رائعة قال عنها انها امانة من قبل الهنود اخوان العراقيين في الهند. وكان يعرّبها الاستاذ عبد المسيح وزير جملة جملة. قال طاغور:

اصحاب الفخامة والمعالي
اخواني الشعراء
سيداتي وسادتي

ارفع بادئ بدء الى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل شكري الصميم لتفضل جلالته بدعوتي الى مملكته، وبذلك تمكنت من الوقوف بينكم في هذه الساعة التي اشهد فيها بعث امة قديمة واختمار حياة مبدعة تنشىء ثقافتها من أجل الحصول على حرية مجيدة غنية بجلال التعبير عمّا في ذاتها. فأشعر بانني في محيط مشبع بتوثيق الشباب الذي يحرّك قارة آسيا اليوم. ذلك التوثب الذي يستفزّه عصر مآت جديدة.

ويؤسفني ان سني وصحتي، على ما تعلمون، لا يساعداني على تحمل مشقات السفر والتغلب على نزعتي الى العزلة والانفراد. لذلك يستحيل علي، هذه حالتي الجسمانية، ان انزل هذه امالكم في لاقابل بالشيء الكثير ترحيبكم بي، هذا الترحيب المفعم بجم اللطف وغمر الفضل.

لقد اتصل بي ان الدعوة في هذا اليوم جاءتني من ادباء بغداد. فمن اللباقة ان تقيم عترة حملة الاقلام، التي افتخر بالانتماء اليها، اول حفلة عامة للاحتفاء بي، ويترع قلبي السرور ان اعلم ان كتبي سبقت فعرّفتني اليكم وان بعضها قد نقل الى لغتكم وان لها في قلوبكم منزلتها. وهذا دليل آخر على ان لا فروق في العرق في دولة الادب، وانه لفي مستطاع افكارنا ان تتلاقى وتتمازج وتتكاتف على تشييد صرح كمال نحلم به – صرح يحتوي خير الانسان الابدي.

لقد قسا قلب التاريخ البشري على الانسان فأملى جشع الاقوياء شروطه الثقيلة على الاقـوام الضعيفة فارهقها واستثمرها لاشباع نهمه الدنس. وقد مزق الالم والريبة فتك الفتك المريح بصميم حياتنا على وجه البسيطة، فعلينا نحن اخوان الادب ان ننقذ الانسانية من هذا الشقاء المنطوي على علاقة غير طبيعية، وان ننهض بالشعوب المختلفة الى مستوى كيان ارفع. وعلينا ان نسعى الى هذه الغاية مهما تباينت الاقطار التي ننتمي اليها. ولئن اساسا متينا للتآخي على هذا المستوى – مستوى المساعي المتحدة للتآليف بين القلوب.

علينا ان نفسح الطريق لعصر العقل – عصر التعاون – عصر تبادل الثقافات تبادلا سمحا يكشف لنا الكنوز الثمينة الدفينة في قلب الانسانية المتآخية المتحدة.

فيا ايها الاخوان، لقد جئتكم حاملا بين حنايا الضلوع هذه الرغبة الشديدة. فالأفرغن من قلبي هذا السر المنطوية عليه زيارتي الى بلادكم.

لقد قدمت اليكم لاناشدكم الله، ايها الاخوان ، ان تعقدوا معنا الخناصر في مكافحة خطر الشكوك المتبادلة – مكافحة نفاق السياسة الدولية الذي يمزق اليوم قلب حياة البشر المدنية. ففي المع عصور تاريخكم المجيد بسطت جزيرة العرب سيادتها على نصف العالم في الشرق وفي الغرب ، وحتى الان لا يزال نفوذها المستحوذ على الهند باديا في حياتنا الروحية والعقلية، نظرا الى وجود جانب عظيم من سكان البلاد المسلمين في وسطنا. فارفعوا صوتكم مرة اخرى ليقطع صداه بحر العرب حاملا ما ينطوي عليه من جلال المثل العالمي الاعلى"... الخ...

وبعد ان انتهى الشاعر العظيم من القاء كلمته سأل الحاضرين اذا كانوا يرغبون في ان يسمعوا قصيدة منه وعمّا اذا كانت تلقى بالانكليزية او الهندية او باللغتين على التوالي فصاح الحاضرون لتقرأ باللغتين. فبدا طاغور بانشاد قصيدته بالانكليزية ثم انشدها ثانية بالهندية بطريقته الساحرة في

وفي مساء اليوم الرابع والعشرين من أيار ١٩٣٢ اقام نادي المعلمين حفلة عشاء لتكريم طاغور في فندق "نايكرس بالاس" وافتتح الحلة الاستاذ متي عقراوي بكلمة رحب فيها باسم نادي المعلمين بالمحتفلين به واعقبه المحامي انور شاؤول فالقى قصيدة لطاغور ثم خطب الاستاذ محمود فهمي درويش فاشاد بأخلاق شاعر الهند وعرض جانبا من جوانب حياته النيرة. فاجابهم الشاعر الاعظم بالكلمة التالية التي اوجز فيها نظريته الصائبة في اصول التعليم ومهمة المعلم حيث قال:

"انني اشعر نفسي بين اصدقائي بالرغم من ان هذه هي المرة الاولى التي اراكم فيها وربما تكون الاخيرة. فلذلك لست مضطرا الى تزييف الكلام وتنميق عبارات الشكر المصطنعة. فاعتقد ان شكري لكم ظاهر وصداقتي واضحة.

حسبما استنتجت من اقوال الخطباء الذين سبقوني انهم كانوا يفتشون عن تعريف لي ليعرفونني به، ويخال الي انهم لم يهتدوا الى ذلك التعريف. فمنهم من وصفني بالرجل العظيم ومنهم بالشاعر او بالفيلسوف وفي الحقيقة انني شخصيا لا اقدر ان اهتدي الى تعريف اعرف به نفسي، فانا شاعر وكشاعر انا معلم واني لافتخر بهذا اللقب.

انتم معلمون واعتقد انكم مشغوفون بمهنتكم واذا كانت الحالة هذه فهاكم طريقتي في التعليم والتربية:

على كل معلم ان يكون شاعرا لان الشاعر لديه خيال وعلى المعلم ان يكون خياليا لكي يتمكن من ان يتصور عقلية الطلاب ويغير عقليته وقت الحاجة الى عقلية الاطفال.

يعتقد اغلب المعلمين بما انهم كبار في السن لا يقدرون ان يشعروا بشعور الاطفال وعقليتهم ولكن ذلك خطأ محض. وهذا هو النقص الوحيد في المعلمين.

انني اشعر بشعور الاطفال واعاملهم بكل شفقة وحنان واحترم جهد الطاقة شخصياتهم وعقلياتهم فأكيف عقليتي حسب عقليتهم وادعهم يعتقدون انهم هم الذين يتعلمون بانفسهم وليس انا معلمهم، فهذه الطريقة يعتمدون على انفسهم وينشأون رجالا معتمدين على نفوسهم.

انكم لا شك قرأتم عن حياتي شيئا، فاني دخلت المدرسة وانا حدث ولكنني كرهتها وكنت اعتبرها بمثابة سجن للعذاب، فلذلك كنت انتعب منها واقع تحت طائلة القصاص.

وفن التعليم العصري يقضي على المدرس الا يحتكر الكلام بل يبقى بالمؤخرة ويدع المجال الى الطلاب. وانا شخصيا لا اهتم بالمناهج بقدر ما اهتم بالجو المدرسي الذي يجب ان يكون مشبعا بالحرية والاستقلال.

ليس المعلم الحقيقي من ينال الشهادات العالية، بل هو الذي يشعر بروحية التلامذة وهذا النوع من المدرسين صعب ايجادهم لانهم لايدربون بالتعليم بل يولدون وبهم هذه الفطرة الطبيعية.

العلماء في الوقت الحاضر يفكرون بمختلف اساليب التربية اذ يعتقدون ان العالم في طور وتطور في اساليب التربية.

الالقاء. وكانت القصيدة بعنوان: "دهشمايا – صراع النفس العنيف في خيبتها" وهذا نص ترجمتها العربية:

"ايها الطائر طائري
اعرني سمعك، ولا تخفض جناحيك
وان مشى المساء اليك متثاقل الخطى
وقد أوما الى الاغاريد طرا بالانقطاع
وان هدأ جاش الحنان في نفسك وانت مضنى
وان وخم الخوض في الظلام وتوارت طلعة السماء خلف برقع الديجور

×××

ليست الجهومة التي تستقبلك عبوسة اوراق الغابة
بل الذي تراه امواج الخضم المتقلبة تقلب اسود عربيد
وليس المشهد الذي ننظره رقص الياسمين الزاهر
بل ذلك الاهتزاز زبد وامض
ايه ايها الطائر
اين الشاطىء الاخضر في نور الشمس
اين عشك
الا ايها الطائر، طائري، انت الى نصحي ولا تخفض جناحيك
ارى وحشة الليل رابضة على سبيلك
والفجر غارقا في سبات عميق وراء التلال الضليلة
هو ذا الزهر النيرات حابسة انفاسها تعد الورد
والقمر الشاحب يسبح في لجنة الليل العميق
فيا ايها الطائر، طائري، اسمع كلامي ولا تخفض جناحيك

×××

لقد انقطع حبل املك وانحلت سورة الخوف عنك
فلا نبسة ولا همسة ولا صرخة، بعد الآن
ولن تجد لك دارا تأوى اليها ولا فراشا تضطجع عليه، ولا مرقدا تستريح فيه
فليس لك الان غير جناحيك وغير مجاهل الفضاء التي لا تهتدي فيها الى طريق
فيا ايها الطائر، طائري، اسمعني ولا تخفض جناحيك.

وختم الشاعر والمربي الكبير كلامه بعبارات رقيقة مؤداها انه يود ان نذكره ليس كرجل عظيم او كشاعر او كمعلم بل كشخص منا يعيش معنا ونعيش معه.

وهل بعد هذا التواضع الذي ابداه طاغور من تواضع؟!

×××

ومما قاله "رابندرانات طاغور" في الدعوة التي اقامها له الملك فيصل الاول عن دور العراق الحضاري:

".. لقد قطعت الحضارة الحدود الضيقة ووقفت على العزلة فهمنا اليوم ان نبني مستقبل الانسان على تفهم شخصيتنا القومية المتباينة تفهما قيما يغني الحياة، وان نبنيه على التساهل والتعاون الحَيّ في مسعانا الشاق لتحرير العقل البشري من سورة الحماقة والشكوك المتبادلة، ولاعتاقه من التبجح بتذابح المثل وشهوة الكسب.

واملي ان يفقه العراق هذه النتبعة الخطيرة – تبعة الحضارة المقبلة. فالعراق، وهو البقعة التي واكبت فيها عقول سكانها عصور بطولة عظيمة، وهو القطر الواقع في وسط منطقة معدودة همزة وصل بين الشرق والغرب، يحق له ان يؤمل انه سيصبح يوما ما حلقة حية في سلسلة شعوب العالم المتحد في المستقبل. فليظهر العراق – وله بصره الممتد الى أفاق بعيدة جذابة وجوّه اللامع وصدى سمائه الندي وفيض رافديه المتدفقين في عصور مجد زاهية – ليظفر بحقه في حرية غير محدودة يتمتع بها في دولته العظيمة، وليعلن تحت قباب سمائه الزرقاء جلال روح الانسان ، وهي المقدس الذي تحل فيه روح الله.

وفي ختام الكلام اتلو شعرا نظمته مختصاً بهذه الكلمة اليكم ترجمته:

لقد انجلى الليل
فاطفئوا السرج المشتعلة.
في زواياكم الضيقة
زوايا سوّدها سناج اللهيب
ها هو ذا الصبح العظيم –
متعة الناس طرّا
منبعثا في المشرق
فليعلن نوره بعضنا لبعض
نحن المدلجين في صراط قبلة واحدة
بغداد في ٢٥ أيار سنة ١٩٣٢ (رابندرات طاغور)

×××

ورغب طاغور في مشاهدة الرقص العراقي وسماع الموسيقى العراقية فهيّأ له ادباء العراق حفلة شائقة مساء ٢٩ أيار ١٩٣٢ في قصر الشابندر المطل على نهر دجلة الجميل في منطقة الكرادة ببغداد. وتترك "جريدة العراق" الصادرة في ٣١ أيار ١٩٣٢ تصف لنا هذه الحفلة الفنية وانطباعات طاغور عنها. قالت الجريدة:

".. وفي الساعة الخامسة والنصف اقيمت حفلة شائقة في قصر آل الشابندر على ضفة دجلة اليمنى في الكرادة وتبرعت السيدة جليلة المطربة والمغنية العراقية هي وجوقها بالحضور لتحقيق رغبة الشاعر العظيم. وحضر الحفلة جماعة من كبار ادباء العراق وبعض ارباب الصحف".

ولما بدأ جوق السيدة جليلة بالعزف والغناء استغرق الشاعر الاعظم في خياله واعرب للاستاذ ابراهيم حلمي العمر سكرتير لجنة الاستقبال عن اعجابه العظيم بالموسيقى العراقية وبما يشهده من فن الرقص العراقي الذي قال عنه انه افضل من هذا الرقص الشائع في اوروبا وادعى الى اللذة والبهجة.

وقضى طاغور – كما قال – ساعة من اهنأ ساعات حياته الطويلة الحافلة بالمشاهد الرائعة.

وقبيل الانصراف نهض الاستاذ ابراهيم حلمي العمر فارتجل كلمة عن اثر زيارة الدكتور "رابندرانات طاغور" في الحركة الادبية العراقية وتمنى ان يكون شاعر الهند – وهو مسافر الى بلاده – قد لمس جوانب هذا الروح العراقي الذي يقدس العظمة والبطولة ويكبر العقول المنتجة ويحترم العبقريات.

وقد ترجم الكلمة الاستاذ عبد المسيح وزير.

وتقول جريدة "العراق" في عددها المشار اليه:

"وكانت اساريرِ الشاعر الكبير تبرق بشرا وسرورا، ثم انطلق كالسيل يرد على خطبة سكرتير اللجنة منوّها بالكرم الغربي.. وشكر لجنة الاستقبال التي هيأت له الاطلاع على نهضة العراق من جميع نواحيها، وقد اكبر فيها الهدف والشعور والثقة بالنفس. وامتدح الشاعر بلغة روحية بلاد العراق وخاصة منظر دجلة الجميل واثنى على الموسيقى العراقية والغناء القومي في هذه البلاد. وعندما وصل القطار الى مدينق بعقوبة استقبل ضيف العراق استقبالا رسميا وشعبيا كبيرا. وتابع القطار سيره نحو بغداد، وعلى امتداد الطريق جرى حديث ادبي ماتع بين طاغور واللجنة

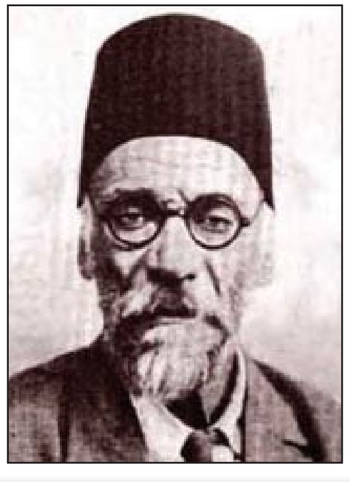

وكان طاغور يحب السفر والتجوال في أنحاء العالم، ولا أدري هل كانت زياراته لدول عديدة تلبية لدعوات رفيعة المستوى استغرق الشاعر الاعظم في خياله واعرب للاستاذ ابراهيم حلمي العمر سكرتير لجنة الاستقبال عن اعجابه العظيم بالموسيقى العراقية وبما يشهده من فن الرقص العراقي الذي قال عنه انه افضل من هذا الرقص الشائع في اوروبا وادعى الى اللذة والبهجة.

وقضى طاغور – كما قال – ساعة من اهنأ ساعات حياته الطويلة الحافلة بالمشاهد الرائعة.

وقبيل الانصراف نهض الاستاذ ابراهيم حلمي العمر فارتجل كلمة عن اثر زيارة الدكتور "رابندرانات طاغور" في الحركة الادبية العراقية وتمنى ان يكون شاعر الهند – وهو مسافر الى بلاده – قد لمس جوانب هذا الروح العراقي الذي يقدس العظمة والبطولة ويكبر العقول المنتجة ويحترم العبقريات.

وقد ترجم الكلمة الاستاذ عبد المسيح وزير.

وتقول جريدة "العراق" في عددها المشار اليه:

"وكانت اساريرِ الشاعر الكبير تبرق بشرا وسرورا، ثم انطلق كالسيل يرد على خطبة سكرتير اللجنة منوّها بالكرم الغربي.. وشكر لجنة الاستقبال التي هيأت له الاطلاع على نهضة العراق من جميع نواحيها، وقد اكبر فيها الهدف والشعور والثقة بالنفس. ثم تقدم اعضاء وفد الاستقبال ورحبوا بالضيف الكريم. واستقل الجميع السيارات الى محطة قطار خانقين حيث اقيم احتفال ترحيبي بطاغور، حضره كبار الموظفين وطلبة المدارس وفرق الكشافة. وبعد حفلة شرب الشاي، صعد الجميع القطار المتوجه الى بغداد. وعندما وصل القطار الى مدينق بعقوبة استقبل ضيف العراق استقبالا رسميا وشعبيا كبيرا. وتابع القطار سيره نحو بغداد، وعلى امتداد الطريق جرى حديث ادبي ماتع بين طاغور واللجنة



وكان طاغور يحب السفر والتجوال في أنحاء العالم، ولا أدري هل كانت زياراته لدول عديدة تلبية لدعوات رفيعة المستوى تأتيه من تلك الدول ؟ فقد كان زاهدا متقشفا، غير ان زيارته للعراق كانت بدعوة من ملك العراق فيصل الاول. وقد زار قبل هذا انكلترا وفرنسا والمانيا واليابان وأمريكا والاتحاد السوفييتي والصين وجنوب افريقيا وكندا وايطاليا وتركيا ومصر. ويذكر ان الملك فيصل الاول اراد استدعاء بعض الشخصيات الادبية والعلمية الى العراق لاطلاعهم على معالم النهضة على عهده، ومن هؤلاء الشاعر الكبير احمد شوقي، الا ان هذا اعتذر لمرضه وارسل الفنان محمد عبد الوهاب عنه الى المعرض الصناعي الزراعي في بغداد في نيسان ١٩٣٢ وغنى فيه قصيدة شوقي (يا شراعا وراء دجلة يجري).

وفي العشرين من ايار سنة ١٩٣٢ وصل الاديب الهندي الكبير رابندرنات طاغور الى الحدود العراقية قادما من الاراضي الايرانية، عند بلدة خانقين . وكانت الحكومة العراقية قد اعدت وفدا لاستقباله عند الحدود، مكونا من عدد من المثقفين العراقيين برئاسة الشاعر جميل صدقي الزهاوي، وفاضل الجمالي وعبد القادر أسماعيل والشيخ كمال الدين الطائي ونوري ثابت والشيخ محمد بهجة الاثري وعبد المسيح وزير وأنورشاؤل وابراهيم حلمي العمر (الاسماء حسب الصورة الملتقطة لهم مع طاغور في خانقين).

وصل طاغور الى الاراضي العراقية في الساعة التاسعة من صباح ذلك اليوم ويرافقه القنصل الايراني في بومبي جلال الدين كيهان والدكتور جاترجي الاستاذ في كلية طاغور في الهند وسكرتير طاغور السيد جكراواردي وزوجة ابن طاغور المدعوة (كنته). كان الشاعر الزهاوي اول المتقدمين للترحيب به وقال له : يرحب العراق بشاعر الشرق العظيم ويحيي فيه العبقرية والنبوغ. فرد عليه طاغور قائلا : انني سعيد بمجيء شاعر العرب الكبير لتحيتي وهي تحية شاعر لشاعر. ثم التقطا صورة وهما جنبا الى جنب. ثم تقدم اعضاء وفد الاستقبال ورحبوا بالضيف الكريم. واستقل الجميع السيارات الى محطة قطار خانقين حيث اقيم احتفال ترحيبي بطاغور، حضره كبار الموظفين وطلبة المدارس وفرق الكشافة. وبعد حفلة شرب الشاي، صعد الجميع القطار المتوجه الى بغداد. وعندما وصل القطار الى مدينق بعقوبة استقبل ضيف العراق استقبالا رسميا وشعبيا كبيرا. وتابع القطار سيره نحو بغداد، وعلى امتداد الطريق جرى حديث ادبي ماتع بين طاغور واللجنة



# الزهاوي يحيي طاغور

نشرت مجلة ( دبي الثقافية ) في عددها لشهر ايلول لهذا العام خبرا مفاده ان الجمعية العامة للامم المتحدة أقدمت على ما لم تقدم عليه من قبل منذ تاريخ تأسيسها في عام ١٩٤٥ ، قررت تسمية عامنا الحالي بعام طاغور ، أطلق عليه لمناسبة الاحتفال بذكرى ولادته المائة والخمسين . ومن الجميل حقا ان تهتم المنظمة الدولية بأعلام التراث الانساني ، على الرغم من مهامها الجسيمة . فالتاريخ الانساني ليس التاريخ السياسي فحسب ، وما يحمله من مشاهد الموت والدمار والانهيار او مشاهد الانبعاث والاعمار . التاريخ الانساني الحقيقي هو تاريخ الابداع والتميز ، تاريخ من بقي في ذاكرة الشعوب ووجدانها على مر العصور . ولا نضيف جديدا بالقول ان الشاعر الهندي الكبير طاغور ( ١٨٦١- ٧ اب ١٩٤١ ) حريّ بالتنويه وجدير بالاحتفال ، فقد ترك من الاثار والذكريات الشيء الجسيم والممتع ، غير ان ما يهمنا من طاغور وسيرته الرائعة ، وما يناسب المقام هنا ، ان الشاعر الكبير زار العراق واستقبل استقبالا كبيرا واحتفي به وبابداعه في أوائل الثلاثينيات من القرن المنصرم. ونعرض في هذا المقال بعض مجريات زيارته لبغداد ، وما احتجنته من مشاهد وذكريات.

وكان طاغور يحب السفر والتجوال في أنحاء العالم، ولا أدري هل كانت زياراته لدول عديدة تلبية لدعوات رفيعة المستوى تأتيه من تلك الدول ؟ فقد كان زاهدا متقشفا، غير ان زيارته للعراق كانت بدعوة من ملك العراق فيصل الاول. وقد زار قبل هذا انكلترا وفرنسا والمانيا واليابان وأمريكا والاتحاد السوفييتي والصين وجنوب افريقيا وكندا وايطاليا وتركيا ومصر. ويذكر ان الملك فيصل الاول اراد استدعاء بعض الشخصيات الادبية والعلمية الى العراق لاطلاعهم على معالم النهضة على عهده، ومن هؤلاء الشاعر الكبير احمد شوقي، الا ان هذا اعتذر لمرضه وارسل الفنان محمد عبد الوهاب عنه الى المعرض الصناعي الزراعي في بغداد في نيسان ١٩٣٢ وغنى فيه قصيدة شوقي (يا شراعا وراء دجلة يجري).

وفي العشرين من ايار سنة ١٩٣٢ وصل الاديب الهندي الكبير رابندرنات طاغور الى الحدود العراقية قادما من الاراضي الايرانية، عند بلدة خانقين . وكانت الحكومة العراقية قد اعدت وفدا لاستقباله عند الحدود، مكونا من عدد من المثقفين العراقيين برئاسة الشاعر جميل صدقي الزهاوي، وفاضل الجمالي وعبد القادر أسماعيل والشيخ كمال الدين الطائي ونوري ثابت والشيخ محمد بهجة الاثري وعبد المسيح وزير وأنورشاؤل وابراهيم حلمي العمر (الاسماء حسب الصورة الملتقطة لهم مع طاغور في خانقين).

وصل طاغور الى الاراضي العراقية في الساعة التاسعة من صباح ذلك اليوم ويرافقه القنصل الايراني في بومبي جلال الدين كيهان والدكتور جاترجي الاستاذ في كلية طاغور في الهند وسكرتير طاغور السيد جكراواردي وزوجة ابن طاغور المدعوة (كنته). كان الشاعر الزهاوي اول المتقدمين للترحيب به وقال له : يرحب العراق بشاعر الشرق العظيم ويحيي فيه العبقرية والنبوغ. فرد عليه طاغور قائلا : انني سعيد بمجيء شاعر العرب الكبير لتحيتي وهي تحية شاعر لشاعر. ثم التقطا صورة وهما جنبا الى جنب. ثم تقدم اعضاء وفد الاستقبال ورحبوا بالضيف الكريم. واستقل الجميع السيارات الى محطة قطار خانقين حيث اقيم احتفال ترحيبي بطاغور، حضره كبار الموظفين وطلبة المدارس وفرق الكشافة. وبعد حفلة شرب الشاي، صعد الجميع القطار المتوجه الى بغداد. وعندما وصل القطار الى مدينق بعقوبة استقبل ضيف العراق استقبالا رسميا وشعبيا كبيرا. وتابع القطار سيره نحو بغداد، وعلى امتداد الطريق جرى حديث ادبي ماتع بين طاغور واللجنة



الخاصة بمرافقته، وكان الحديث يدور حول نهضة الشرق وتطلعه الى حياة جديدة، وكان طاغور يسأل عن احوال العراق وما ينتجه صناعيا وزراعيا وفكريا.

وفي الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم وصل القطار بغداد، وكانت محطة القطار غاصة بالمستقبلين من كبار الشخصيات الادبية والعلمية وموظفي الدولة وعدد من الشخصيات النسوية، اضافة الى عدد كبير من الجالية الهندية في العراق. وما ان نزل طاغور من عربة القطار حتى علا الجو صوت التصفيق والهتاف، ثم تقدمت طالبة من المدرسة المركزية للبنات والقت خطبة باللغة الانكليزية. وتقدم احد اعضاء الجالية الهندية وطوق عنقه بطوق من الزهور. وبعدها استقل سيارة خاصة نقلته الى مكان اقامته في بغداد وهو فندق قصر دجلة (تايكرس بالس) في شارع الرشيد (السنك).

وفي اليوم التالي استقبل طاغور في مقره المرحبين به من جميع طبقات الشعب وشرائحه الثقافية. وكانت القصائد والكلمات تتلى امامه، وقد تناوب على الترجمة اثنان من المترجمين احدهما عراقي وهو الاستاذ عبد المسيح وزير، والثاني كان هنديا يعمل في المقيمية البريطانية ببغداد. اما ماجرى لطاغور ببغداد بعد هذا، فنجمله في الفقرات التالية :

اول حفلة اقيمت لطاغور، نظمتها لجنة الاحتفال به مساء يوم ٢٣ ايار على حديقة امانة العاصمة المجاورة لقاعة الملك فيصل (الشعب فيما بعد)، حضرها رئيس الوزراء والوزراء والنواب وكبار الشخصيات العراقية والاجنبية. وبدأت بوصلات موسيقية لفرقة موسيقى الجيش ثم كلمة لجنة الاحتفال القاها ابراهيم حلمي العمر، وفي هذه الحفلة القى الشاعر الكبير معروف الرصافي قصيدته الشهيرة (الحقيقة المطلقة) ضمنها العديد من افكاره في وحدة الوجود، وهي ما اعتقده الرصافي بعد بحث وتفكير طويلين وفصله في كتابيه (رسائل التعليقات) و("الشخصية المحمدية)، وتجد نصها في ديوان الرصافي (الجزء الاول ص١١٥)، ومطلعها:

ما للحقيقة من بداية اولا وليس لها نهاية

كما القى الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي قصيدة تجد نصها في ديوانه (الاوشال)، مطلعها:

كنت طاغور ماثلا في خيالي
حيثما التقت اجدا حيالي

ثم القى الشيخ محمد بهجة الاثري قصيدته ومطلعها:

بسمت لبغداد وبغداد ثاكلة
فلم تر الا ان تهش مجاملة

وكانت قصيدة الاثري من الشعر السياسي اذ ضمنها شكواه من الواقع السياسي في العراق يومئذ. والقى الشاعر العظيم طاغور كلمة رائعة ترجمها للحاضرين الاستاذ عبد المسيح وزير، واردفها بقصيدة جميلة من شعره، القاها باللغتين الهندية والانكليزية. وكانت زوجة ابنه (كنته) تلقي قصيدته مغناة.

× واقام نادي المعلمين حفلة عشاء لضيف العراق يوم ٢٤ ايار في الفندق نفسه الذي يقيم فيه الشاعر الهندي الكبير (تايكرس بالس)، افتتح الحفلة الاستاذ متي عقراوي عميد دار المعلمين، ثم القى الشاعر انور شاؤل قصيدة بالمناسبة (مذكراته ص١٨١)، اعقبه الاستاذ محمود فهمي درويش.

وانتهى الحفل بكلمة عن المعلم والتعليم القاها الضيف الكريم.

×وفي قصر الشابندر المطل على دجلة في الكرادة اقيمت حفلة شائقة للضيف احتيها المطربة العراقية جليلة وجوقها الموسيقي، وقد استمع طاغور للغناء العراقي وابدى اعجابه بالموسيقى العراقية وما شاهده من رقص جميل، وانتهت الحفلة بكلمة لابراهيم حلمي العمر سكرتير لجنة الاستقبال.

× وكان يوم الاثنين الثالثين من ايار١٩٣٢ يوم وداع طاغور في مطار بغداد المدني، فاستقل طائرة هولندية الى كلكتا في الهند، وقد ودع بمثل ما استقبل من حفاوة وترحيب.

× ومن الطريف ذكره ان مغنية عراقية شهيرة هي زكية جورج غنت من شعر طاغور اغنية (يا بلابل غن لجيرانك غن وتغنّ بالحانك) واعيد غناؤها في السنوات التالية باصوات اخرى.

**مجلة المورد العدد السابع ١٩٧٨**

طاغور لدى وصوله العراق سنة ١٩٣٢ـ صورة له في خانقين مع لجنةالاستقبال العراقية ، ويبدو فيها الزهاوي الىجواره وقد وقف خلفهما الازري والاثري زبوز وعبد المسيح وزير وغيرهم .

# الى طاغور
# الحقيقة المطلقة

معروف الرصافي

انشدها الشاعر الكبير معروف الرصافي في الحفلة التي اقيمت مساء ٢٢ ايار ١٩٣٢ لشاعر الهند الكبير وفيلسوفها طاغورحين زار بغداد.وقد انطوت القصيدة على بعض المعاني الفلسفية التي اعتنقها الرصافي ، ولا ريب ان الحقيقة التي قصدها الشاعر هي الذات الالهية كمافي فكرة وحدة الوجود التي لم يجد الرصافي محيصا من الايمان بها بعد بحث وتفكير . وقد فصل فيها القول في كتابيه ( رسائل التعليقات ) و( الشخصية المحمدية ). وكان الاستاذ عبد المسيح وزير يترجم للشاعر الهندي ما يذكره شاعرنا الى اللغة الانكليزية.

مالحقيقة من بدايه كلا وليس لها نهايه
هي عند ارباب العقو ل اجل من حد وغايه
خفيت ولكن كم وكم ظهرت لها في الكون ايه
كم راح مرفوعا لها فوق الربا علم ورايه
هي في مقام ظهورها كالشمس تحجبها غيايه
مابين اعين من يرو ن وبينها الا شوايه
فلو انجلت غفلاتنا لتكشفت عنا العمايه
هي منظر فيه الجلا لومخبر فيه الكفايه
هي في الطبيعة تستفيـ ـض على الوجود لها جرايه
هي في الضياء وفي الظلا م وفي المسير وفي السرايه
هي في الفضيلة والفضو ل وفي النقيصة والزرايه
هي في اللباب وفي القشو ر وفي الحثالة والنفايه
هي في السلام وفي الحرو ب وفي الهوادة والنكايه
هي كل ماشكت الشكا ة وكل ما بعث الشكايه
هي في الرماة اذا رموا وهي الاصابة في الرمايه
هي في العفـــا ء وفي الجناة وفي الجناية
هي في الغياض وفي الربا ض وفي الفراشة والجدايه
هي في المغاني والمبا ني والبناة والبنايه
هي في الغباء والذكا ء وفي الشفاعة والوشايه
هي في الملاح وفي القبا ح وفي الرشاد وفي الغوايه
والى الحقيقة تنتهي طرق الضلالة والهدايه
هي من يموت ومن يعيـ ـش وكل قابلة ودايه
هي كل ما وعت العقو ل وكل ما روت الرواية
منها الفنا وبها البقا ومن الفناء هي الوقايه
ليس الوجود لغيرها الا خيالا في مرايه
واذا نظرت الكائنا ت باسرها فهي السنايه
اني ارى سر الحقي قة كائنا في اللانهايه
وارى الوجود وان تعـ ـد واحدا عند الدراية
اليك( يا طاغور) جئـ ـت عن الحقيقة بالحكايه
انت الذي قال الحقي قة بالصراحة والكنايه
ما اخطأت سنن العلا اذ هذبتك يد العنايه
لا زلت مشمول الجنا ب من الحقيقة بالرعاية

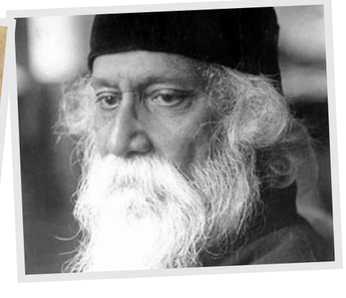





# طاغور.. حياة بين العواصف وعشق السلام

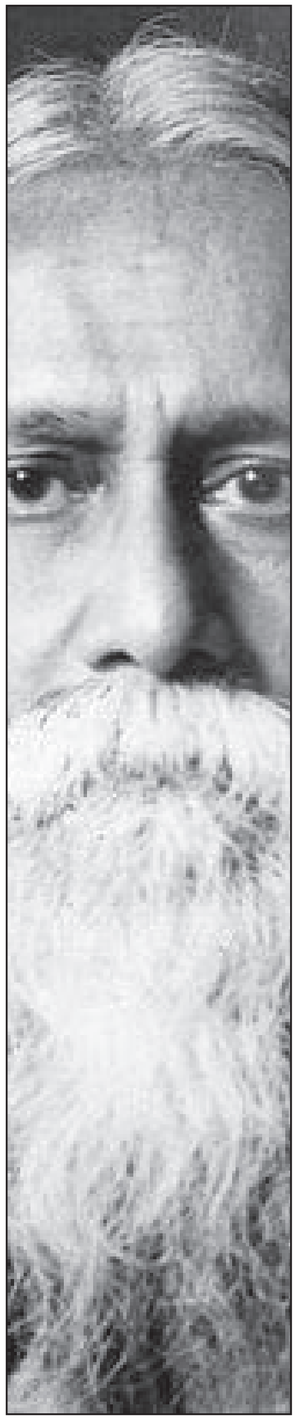

اعداد / منارات

"مهما يكن من شيء فإني لن أرتكب الخطيئة الخطيرة: خطيئة فقدان الإيمان بالإنسان، والرضوخ للهزيمة التي حاقت بنا في الوقت الحاضر على اعتبارها نهائية وحاسمة" كانت هذه هي كلمات الشاعر الهندي العظيم رابندرانات طاغور والتي دونها بمقدمة كتابه "البيت والعالم" ترجمة د. شكري محمد عياد عن "دار الهلال".

وفي شهر اب حلت ذكرى طاغور حائز نوبل في الآداب لعام ١٩١٣، والذي قررت منظمة الأمم المتحدة للعلوم والثقافة "اليونسكو" تخصيص عام ٢٠١١ بمناسبة مرور ١٥٠ عاماً على ميلاده.

قال طاغور يوما في كتابه "الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء":

"الإسلام دين عظيم، استطاع أن يشد إليه الناس في كل مكان، لذا فاعداؤه كثيرون، لكنه لبساطته القوية، سيظل رافعاً رايته".

كما قال في قصيدة له : "سأحطم الحجر وأنفذ خلال الصخور وأفيض على الأرض وأملأها نغما، سأنتقل من قمة إلى قمة، ومن تل إلى تل، وأغوص في واد وواد. وسأضحك بملء صدري وأجعل الزمن يسير في ركابي"، وتشير هذه الكلمات لحياة طاغور بالفعل حيث تمكن من الوصول لكل بلاد العالم بشعره وأفكاره، وإيمانه القوي بالإنسان والطبيعة، ووصف نفسه من قبل بأنه "كالبخور لا ينتشر عطره ما لم يحرق".

## قصة حياة

ولد طاغور في السادس من مايو عام ١٨٦١ في قصر "جوروسنكو" بمدينة كلكتا فكان سليل أسرة هندية عريقة، وأصغر أخواته السبعة، أطلق عليه والده اسم "رابندار" ويعني "الشمس" تيمناً بأنه سيشرق كالشمس، وكان والده أحد أعلام نحلة "اليوبانيشاد" الدينية التي تركت في الهند أثراً صوفياً بالغاً.

وحرص الوالد على تعليم إبنه واصطحابه في رحلات كثيرة كان أبعدها أثراً في نفسه رحلته إلى جبال الهيمالايا، ثم جاء أثر رحيل الأم قاسياً على نفس طاغور، وظل يتذكرها ويشعر بفجيعة فقدها وهو لا يزال صغيرا . وربما هذا ما دفعه للتأمل المبكر في الطبيعة ويعتبرها رفيقه الجديد .

حينما أصبح صبيا، بدأ طاغور في التمرد على بعض التقاليد المتبعة ومنها الإكراه على الزواج وبدا ذلك في روايته "حطام السفينة" وحينما تزوج يقول عن زوجته " لقد داعبت موسيقا الأشياء كلها أعضاءها لتمنحها إهاب الجمال، إنها زوجي ... لقد أشعلت مصباحها في بيتي وأضاءت جنباته".

ولكن السعادة لا تدوم فقد رحلت زوجته مخلفة ثلاثة أطفال وهي في ريعان شبابها، ولحق بها إبنه وابنته وأبوع في فترات متتابعة مما خلف في نفسه جرحاً عميقا. ولكن طاغور يكتب في ديوانه "الهلال" يقول : "إن عاصفة الموت التي اجتاحت داري أضحت لي نعمة ورحمة، فقد أشعرتني بنقصي وحفزتني على نشدان الكمال وألهمتني أن العالم لا يفتقد ما يضيع منه".

ونال طاغور بسبب ديوانه "جيتنجالي" جائزة نوبل للآداب وكان أول شاعر شرقي يفوز بها حتى قال الكاتب الفرنسي أندريه جيد "ليس في الشعر العالمي كله ما يدانى طاغور عمقا وروعة".

في عام ١٩٠٩ انشأ طاغور في إحدى ضواحي "كلكتا" مدرسة سماها "شانتينيكيتان" والتي تعني "مرفأ السلام" حرص فيها أن يتلقى الطلبة دروسهم إلى جانب التمتع بالطبيعة والمساهمة في المحافظة عليها والزيادة في تجميلها، وقد ألقى طاغور في هذه المدرسة العديد من المحاضرات التي جمعها في كتابه الشهير "سادهانا".

جاء إنتاج طاغور غزيراً ما بين فلسفة وشعر ورواية وقصة ومسرح، نشر أولى محاولاته الشعرية في إحدى المجلات الأدبية الصادرة بكلكتا، وقد لقبه الزعيم الهندي المهاتما غاندي بـ "منارة الهند"، وجاء ديوانه الأول بعنوان "أغاني المساء" ونال تشجيع الأوساط الأدبية وثناء النقاد، وأعقب ديوانه هذا بديوان "أغاني الصباح".

### ذكريات طاغور

في مقدمة كتابه "ذكرياتي" يكتب طاغور "الذكريات ليست تاريخاً، بل إبداعات أصيلة لفنان غير منظور"، وفي قصيدة يشرح فيها ما كان الخدم يفعلونه معهم وهم أطفال حين يرسمون بالطبشور دائرة لا يتعدونها في حركتهم ولكنه حينما كبر وجد أن الدائرة المقيدة محيطة به بشكل آخر والأفق بعيدا وليس في متناول يده ، يقول :

كان الطير الأليف في القفص والطليق في الغابة شاء القدر أن يتقابلا يوماً
صاح الطير الحر "دعنا نطير إلى الغابة يا حبيبي"
همس طير القفص "تعال هنا، دعنا نعيش معاً في القفص"
قال الطير الحر "بين القضبان حيث لا مكان لنا لفرش أجنحتنا؟"
"واحسرتاه"
أجاب طير القفص "أنا لا أعرف أين أحط في السماء"

زار طاغور العديد من دول العالم كان أولها عندما أرسله والده إلى انجلترا لدراسة القانون ولكنه لم يوفق في ذلك، وبالرغم من أنه لم يعود إلى بلاده بالشهادة التي كان يتمناها والده إلى أنه تمكن من جمع حصيلة وافرة من المعلومات والتجارب التي أضافت لاهتماماته في مجالات الأدب والموسيقى، ثم قام برحلة ثانية إلى أوروبا زار فيها بريطانيا مارا بفرنسا وايطاليا، كذلك قام برحلات أخرى حول العالم حققت له الكثير من الشهرة العالمية، وكانت بغداد من العواصم التي استهوته فزارها عام ١٩٣٢ حيث اتخذ منها جسراً يصله بكبار أدباء العالم، كما ساهمت في التعريف بأدبه ورسالته إلى أن رحل عام ١٩٤١ في الثمانين من عمره .

وكان قد منح تكريما من دول العالم، ففي الهند حاز الدكتوراه الفخرية، كما منحته الحكومة البريطانية لقب "سير" وهو اللقب الذي بإعادته للحكومة البريطانية عقب الأعمال القمعية التي قامت بها عام ١٩١٩ بإقليم البنجاب.

وقد تمكن عام ١٩٢١ بعد جهد كبير من افتتاح جامعته العالمية فيسفابهاراتي وهي التسمية التي استوحاها من أحد الأبيات الشعرية السانسيكريتية وتعني "المكان الذي يتحد فيه العالم".

manarat

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
عدنان حسين

مدير التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
مصطفى التميمي

التصحيح اللغوي
محمد حنون

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة
دار الصباح
للاعلام والثقافة والفنون

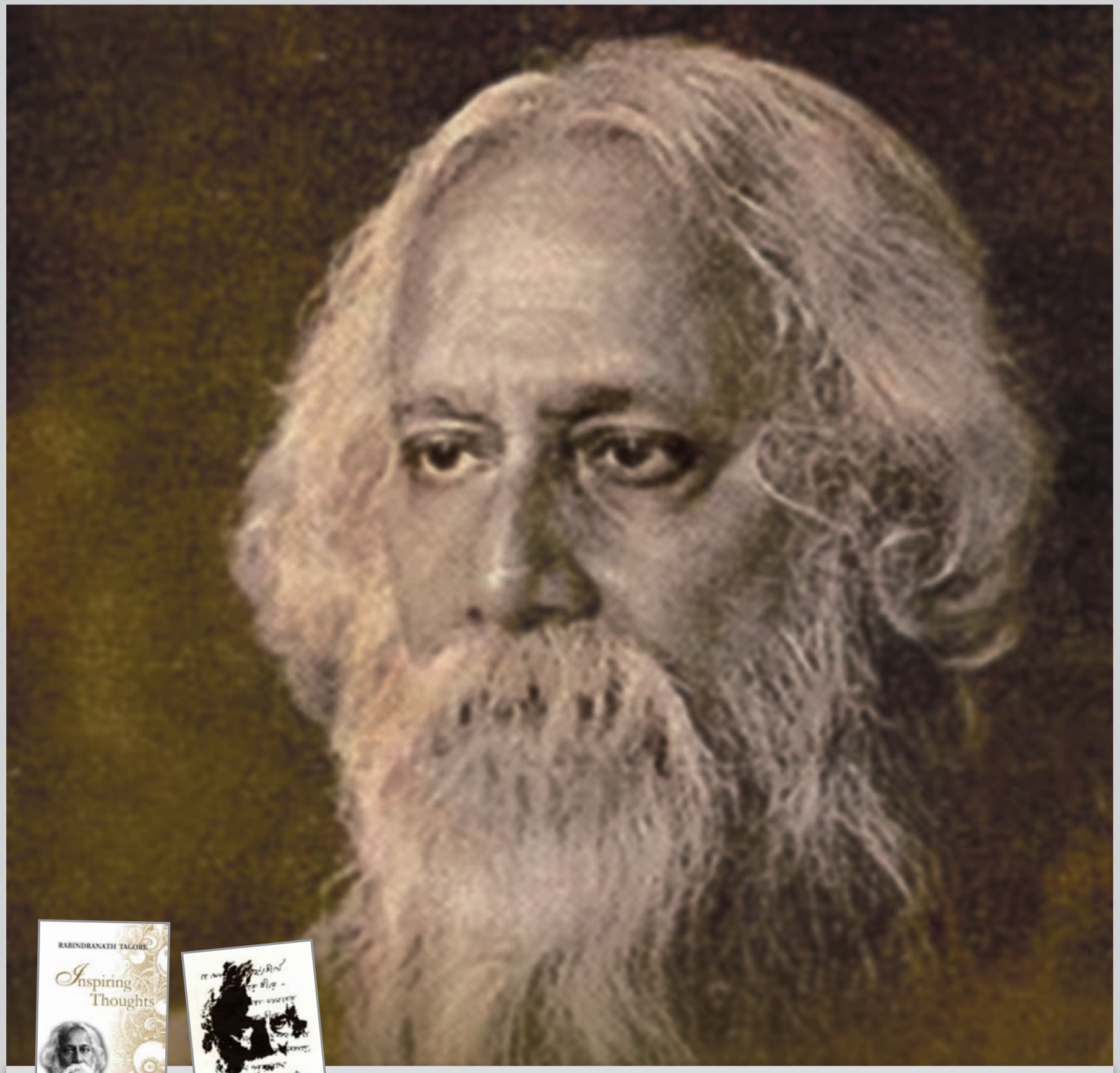

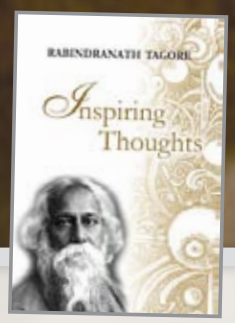


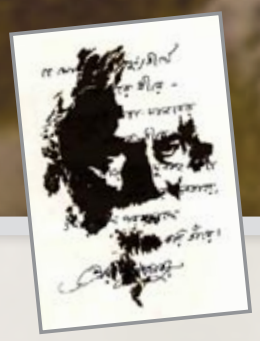

# طاغور والسينما

**فوزي كريم**

في مطلع شهر مايس تحتفل لندن الثقافية (الهندية والانكليزية) بذكرى مرور ١٥٠ سنة على ميلاد الشاعر الهندي الكبير طاغور (١٨٦١-١٩٤١). النشاط الثقافي الانكليزي يقتصر في احتفاله على جانب من عبقرية طاغور بالغة الخصوصية، والتي تخص الفن السينمائي: في قاعات سينما معاهد الفيلم في مجمع "الساوث بانك" موسم قصير للأفلام التي أسهم فيها طاغور، سينمائياً، روائياً أو موسيقياً. إلى جانب فيلم وثائقي عن حياته وإنجازاته. وإنجازات هذه الموهبة الشرقية الرائعة عديدة: الشعر وشعر الأغنية، المقالات، الدراما والرقص والتأليف الموسيقي، والرسم. وقد أصبح رساماً بعد أن بلغ الستين من العمر. كنت أطمع بحضور هذه العروض. وجرياً للعادة اتصلت بشباك التذاكر للحجز فاعتذروا، لأن جميع التذاكر بيعت للعروض الأولى. وتركوا لي فرصة شراء عرض متأخر، بعد أكثر من أسبوعين. لم استجب، ولجأت إلى الانترنيت أستجوب "اليوتيوب" عن الأفلام واحداً إثر آخر. فكان كرم اليوتيوب كالعادة وافراً. الأفلام متوفرة كلها، باستثناء الفيلم الوثائقي، الذي عزّيت النفس بأني سأعثر عليه بالتأكيد، داخل هذه العلبة المعدنية التي من علينا بها القرن الحادي والعشرون.

لديّ شاشة كومبيوتر معقولة السعة، وكرسي للكومبيوتر جديد، ومريح تماما. ثم إن من فضائل العرض الحميمي هذا إنك تملك أن توقفه، لأي سبب من الأسباب، متى تشاء. أو أن تؤجل المشاهدة إلى ما بعد الغداء جملة. وبالمناسبة، فإن الاقتصار في المشاهدة (الجدية) على الشاشة الحميمية الصغيرة ينطوي على متع خاصة، لعل أهمها إحساسك بأنك داخل شاغل ثقافي. وإنك داخل شاغل خيالي توحي المخيلة لك فيه أنك أمام شاشة سينما فضية صغيرة، وداخل قاعة للعرض صغيرة، وإنك مثلهما صغير، ومناسب.

كان الشاعر طاغور قد أسهم بقسط من عطاياه الابداعية في السينما الهندية. حتى انه أخرج فيلماً بنفسه عام ١٩٣٤، نقلاً مباشراً عن خشبة المسرح. هذا الفيلم حدث أن فقد، ثم عُثر عليه مؤخراً. أما بقية الأفلام الخمس فتعتمد رواياتٍ له. ولم يلتق مع نتاج طاغور الأدبي هذا إلا مخرجون على درجة عالية من الجدية. في طليعتهم تقف قامة "ساتياجيت راي"، الذي قدم قصة "البنات الثلاث"(١٩٦١) في أفلام ثلاثة يعالج الأول منها، بغنائية "راي" المعهودة، حكاية "موظف البريد" الذي يفد إلى قرية مقطوعة، حيث تتشكل علاقة حميمة بخادمته الصبية. وحكاية المرأة المأخوذة بمجوهراتها في الفيلم الثاني. والثالث عن المرأة التي تكتشف عاطفة الحب لزوجها بعد أن تزوجته قسراً.إلى جانب الفيلم المتأخر نسبياً "البيت والعالم" (١٩٨١)، ذي الشاغل التاريخي، السياسي عند تقسيم بلد "البنغال" في مرحلة الاستعمار البريطاني.

الأفلام الثلاثة الباقية لمخرجين لا يقلّون جدية عن "راي". الأول "تابان سينها" في فيلمه "الحجارات الجائعة"(١٩٦٠). حكاية جامع ضرائب ينتقل إلى بيت مسكون بالأشباح حيث يقع في حب شبح امرأة أسرة الجمال. الثاني "هيمين غوبتا" في فيلم "كابوليوالا"(١٩٦١)، عن أفغاني متعلق بابنته، يهاجر إلى الهند، وهناك يجد السلوان في علاقته الأبوية بفتاة أرادها بديلة، ولكن عاطفته البريئة أثارت همساً متشككاً من حوله. والثالث "كومار شاهاني" في فيلم "أقسام أربعة"(١٩٩٧). وفيه توجه نقديّ لاذع للمتطرفين الأيديولوجيين داخل حركة التحرير الوطنية الهندية. ويصح على غير الهندية بالتأكيد.

ولد طاغور في عام ١٨٦١ ، وكان الأصغر سناً في عائلة مكونة من ١٤ طفلا. بدأ كتابة الشعر في سن السابعة، واتسعت شهرته عالمياً عبر ديوانه الشهير "غيتانجالي" : الذي بدت حساسيته جديدة جداً في أفق الشعر العالمي، الذي بدا مُعتماً على أثر الحرب العالمية الأولى، حتى أن طاغور حاز على أثر ديوانه جائزة نوبل للآداب في ١٩١٣. ترجمت هذه القصائد الى لغات عالمية عدة. وباعتباره تربوياً كبيراً أقام مدرسة في الهواء الطلق، وكلية للفنون ذات طبيعة تنويرية متحررة. وكرجل عالمي عرف بتبادله الرسائل مع ييتس، عزرا باوند، وروبرت برجز. وفي وقت لاحق مع ألبرت أينشتاين، رومان رولان وجورج برنارد شو. وقد ترجمت أعماله الى الفرنسية على يد أندريه جيد ، والى الروسية على يد الشاعرة آنا أخماتوفا